من غزة إلى كابول

أوراق في الفكر والانتصار

«مجموعة مقالات كتبها الشيخ نائل بن غازي (رحمه الله) لمجلة الصمود»



جمع وترتيب: سعدالله البلوشي

ذو الحجة ١٤٤٦هـ - يونيو ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

من غزة إلى كابول
أوراق في الفكر والانتصار

«مجموعة مقالات كتبها الشيخ نائل بن غازي (رحمه الله)
لمجلة الصمود»

إعداد وترتيب: سعدالله البلوشي

ذو الحجة ١٤٤٦ - يونيو ٢٠٢٥

شهيد الثقافة والفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى. أما بعد:

إنني أكتب هذه السطور وفاءً وتقديرًا للجهود العلمية والثقافية التي قدّمها الشهيد الدكتور نائل بن غازي -رحمه الله-، في ميادين الجهاد الثقافي والفكري، تخليدًا لذكراه واعترافًا بعطائه الذي لا يُنسى.

لقد قدّم رحمه الله في حياته خدمات علمية وثقافية جليلة، جديرة بالذكر والإشادة، وكان له دور بارز ومشهود في مجلة "الصمود"، حيث ساهم في تنقية الأفكار، وتحفيز المؤمنين، وتشجيع الكتّاب والمثقفين على مواصلة درب الجهاد بالقلم والكلمة.

إن ما تركه من كتابات، والتي نُسِجَ منها هذا الكتاب، يحمل في طيّاته فكرًا نيرًا، يُحيي العقول، ويُرشدها إلى طريق الحق والمواجهة ضد أعداء الإسلام. لقد كان الدكتور نائل شخصية علمية عظيمة، خاض معركة الوعي بالقلم، ووجّه الأجيال الصاعدة، وسيبقى بإذن الله معلمًا وأستاذًا للأجيال القادمة.

ونحن على يقين بأن هذه الرسالة التي تُطبع اليوم، ستكون في المستقبل مصدرًا غنيًا بالعلم والمعرفة، يستفيد منها الكتّاب وطلبة العلم والمجاهدون، وتُسهم في ترسيخ الوعي ومواصلة درب الإصلاح.

نشكر جميع الإخوة الذين بذلوا جهدهم في جمع هذه الرسالة وإعدادها في هذا الكتاب القيّم.

نسأل الله تعالى أن يتغمّد الشهيد الدكتور نائل برحمته الواسعة، ويسكنه الفردوس الأعلى. لقد استُشهِد في طريق الحق وهو يواجه الباطل، وأفكاره التي تركها شاهد حيّ على مسيرته النضالية والعلمية، وستبقى بإذن الله منارة تهتدي بها الأجيال في مسيرتها ضد الباطل، وعلى طريق الإصلاح والبناء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ذبيح الله مجاهد (المتحدث باسم إمارة أفغانستان الإسلامية)
كابل – إمارة أفغانستان الإسلامية
2025-6-23م

إرث "شهيد" في صفحات "الصمود"

ما زلت بعد عشرة أيام من استشهاد الشيخ أبي محمود نائل بن غازي لا أتمالك أعصابي لأكتب عنه كتابة مستقرة مطمئنة مفهومة، وفي كل لحظة كهذه أتذكر حكمة القائل: إنما الكلمات وسائل تعبير عن مشاعرنا الصغيرة، فأما المشاعر الكبيرة فالكلمات دونها!

وقد عبَّر نبي الله موسى -عليه السلام- عن هذا المعنى حين كُلِّف بمخاطبة فرعون ودعوته، فقال -عليه السلام-: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾، وطلب مؤازرة أخيه هارون لكونه فصيحًا ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾، وقد أجابه الله لسؤاله فقال: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ فبهذا السلطان وبهذه المؤازرة استطاع موسى -عليه السلام- أن ينطق بالدعوة ويبينها وأن يجابه فرعون!

وأما من لم تسعفه الفصاحة، ولم يكن له من الله مثل هذا السلطان.. فما يستطيع أن يقول ما في نفسه.. وهذه حالي الآن، وحال هذه السطور!

(1)

وأبدأ بنفسي..

فإني في مقعد القاعدين أكون في حال من الحرج الشديد إذ أكتب عن المجاهدين..
وما أدراك ما حال القاعدين إلى حال المجاهدين، إنما مثله ومثلهم كالذي يشير إلى الشمس وإلى القمر، فأين المشير من المُشار إليه؟!! وما قيمة أصبع يرتفع ولسان يهتف إلى جوار النور الطالع والضياء المشرق؟!

ينبغي للحياء أن يشملني، ولا بأس أن أقول صريحًا: ينبغي للعار أن يجللني، إذ أكتب عن المجاهدين والشهداء.. ولكن: هل لي أن أمتنع؟!

هل أستطيع إذا طلب مني إخواننا المجاهدون في الإمارة الإسلامية شيئًا أن أمتنع؟!

فهل إن كان الذي طلبوه هو الكتابة عن أخي الشيخ الحبيب نائل بن غازي.. هل لي أن أمتنع؟!

ثم هل إن كان المطلوب في المقدور.. هل يجوز لي أن أمتنع؟!

طلبٌ يطلبه مجاهدون، أن أكتب تقدمة عن شهيدٍ، والكتابة أمر مقدور.. فما نفعي في الحياة إن امتنعت؟!

لَأَن أوصفَ بقلة الحياء وأنا أتقدّم إلى المقامات الرفيعة، أحبّ إليّ من أن أوصف

بالامتناع عن إجابة طلب السادة المجاهدين في شأن السيّد الشهيد!.. وما يجوز لعبدٍ إذا قيل له اجلس مع السادة إلا أن يقول: سمعًا وطاعةً.. حتى وإن عُدَّ جلوسه في تجاوز الحدّ، فالامتثال خير من الأدب..

(2)

وأثني بقول القائل: لا يعرف الفضل لأهله إلا ذووا الفضل!

ما مرّتْ عشرة أيّام على استشهاد الشّيخ الحبيب أبي محمود، إلا وقد جَهَّز إخوته في الإمارة الإسلامية هذا الكتاب، وذا أمرٌ لم يبلغني أنه قد صُنِع مثله في ديار أخرى، وما في ذلك من عجب.. فالجهاد رحم بين أهله، وأهل الفضل أعرف بأهل الفضل..

وكما كان الشيخ أبو محمود منفعلًا مع قضايا المسلمين كلها، من أفغانستان إلى الشام إلى مصر إلى غيرها، فقد هيّأ الله له من يجمع كلامه ليُنشر من بعده، فيتّصل عمله ويمتدّ فضله ويتّسع أثره وينتشر نوره، ويكون –إن شاء الله- من العلم النّافع الذي يزداد به ميزان حسناته ويثقل على كرّ الأيّام ومرّ العصور.

لقد اتّصل الفضل في هذا الكتاب بين الشيخ سعد الله البلوشي، سفير الإمارة الإسلامية في إندونيسيا، وبين أبي محمود نائل بن غازي.. وما هذا الاتّصال إلا صورة مصغّرة من اتصال الفضل والجهاد بين أنحاء الأمة وأرجائها.

إن انتصار المسلمين في مكان هو انتصار لهم في كل مكان، ليس على مستوى المشاعر وحدها، بل على مستوى الواقع والحقيقة..

ولو قَدَّرنا أن انتصار المسلمين في مكان لا يؤثر على غيرهم إلا في باب المشاعر فحسب فإن ذلك أثر عظيم ليس بالهيّن، فإن أحوج ما تحتاج إليه أمة مهزومة مستضعفة مغلوبة أن تنتعش مشاعرها ويستيقظ الأمل فيها وتثور صدورها وتزهر قلوبها، فإنّما ذلك أول السعي وأوّل العمل وأوّل النّصر!

وكم من يائسٍ ومحبطٍ وكئيبٍ أشرقت نفسه وانبعث عاملًا مجاهدًا حين رأى غيره قد حاول ونجح؟! وكم من خائفٍ جبانٍ أقدم على العمل الجريء المدهش حين رأى مِقدامًا جريئًا يقتحم ويتقدّم؟!.. إن جُلَّ الحياة مشاعر!.. ولقد أوصانا نبيّنا بالانتباه لهذا، فقال: (لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طلق)، وأمر بالصدقة ولو كانت "شِقَّ تمرة"، وكلها أمور تؤثر في المشاعر لا تغيّر من الحقائق، وهو –ﷺ- الذي قال: (إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وحُسْنُ الخُلُقِ).

فالمشاعر وحدها أمرٌ عظيم.. وهي في الأمة المكلومة المهزومة أعظم وأعظم!

على أن تأثير انتصار الأمّة في مكان لا يتوقف عند المشاعر وحدها، ولكن يتعداه إلى الحقائق.. وإن انتصار المسلمين في أفغانستان ضد هذا الحلف الدولي الضّخم الذي اجتمعت فيه قوى العالم لهو تغيّرٌ في ميزان القوة، وتغيّرٌ في وضع الهيبة والثقة، وتغيّرٌ في خريطة العالم السياسيّة على الحقيقة. إن كل عاملٍ لهذا الدّين في مكانٍ ما قد

تأثّر بانتصار أفغانستان.. إن قدرة الشعب الفقير المحاصر ومقاتليه البسطاء ذوي الصلابة تجعل النصر في كل مكانٍ أقرب من طالبه، وكذلك فإن انسحاب عدوّ مثل أمريكا وحلفائها من أفغانستان ليجعل كل عدوّ غيرها أهون منها!

ومثلما ألهمت أفغانستان غيرها، فقد فعلت غزّة بطوفانها المبارك، وفعلت سوريا بانتصارها على الطاغية بشار الأسد، وتلك ثمرات نجني بعضها، وسنجني بعد قليل بعضها الآخر.. فإن التفاعل مستمرّ، وإن الأمة تشاهد وترى، وهي تستوعب وتختزن!

وما من مستحيل بعد أن انتصرت طالبان على أمريكا!

وما من مستحيل بعد أن صفعت غزة إسرائيل أقوى صفعة في تاريخها، ولا تزال صامدة بعد ستمائة يومٍ في معجزة عسكريةٍ لا مثيل لها بحساب ميزان القوّة!

وما من مستحيلٍ بعد أن سقط نظام بشار المدعوم من هنا وهناك، بل لقد سقط في لحظةٍ يعاد فيها تقبله في السياسة العربية الإقليمية!

ما من مستحيلٍ بعد هذا كلّه.. لقد فعلت هذه الأمة المستحيلات!

ولكنّه أمرٌ لا يعرفه غير المجاهدين العاملين.. ولا يستفيد منه ويجني ثمرته إلا الصادقين المطمئنين!

(3)

هذه أمة تفعل المستحيلات.. نعم! ولكنها حين تفعله تقدّم إلى الله صفوتها وطليعتها ونخبتها شهداء باذلين، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة!

مثلما تغنّى أبو محمود بالملا محمد عمر يومًا ما، فها هو واحدٌ من أبناء الملا محمد عمر يتغنّى بأبي محمود ويجمع كلامه..

وأبو محمود ما أبو محمود.. وما أدراك ما أبو محمود؟!

إن في نفسي وَجَلًا قديمًا وحياءً أن أبادر بالكلام مع المجاهدين، فكيف بأهل العلم منهم وشيوخهم؟!.. وما أتذكّر أني بادرتُ إلى ذلك مع أحدٍ، فكلّ من أعرفهم من هؤلاء إنّما كانت البداية منهم، فضلًا منهم ومنّةً وتكرّمًا..

وهكذا عرفتُ أبا محمود!

كنت أرمقه من بعيدٍ حتى ابتدأ بالمراسلة.. ومن ها هنا اتّصل أمري بأمره!

إنّ هذا الرجل الذي ترونه يخطب على المنابر كأسدٍ هصورٍ، يرعد ويبرق، يهدر وينذر، تراه في المراسلات والاتصالات الهاتفية طيفًا من الحياء، ونسيمًا من الأدب، وسَلسَلًا من الرقّة، وروحًا من الصفاء!

وإنّ هذا الأصوليّ القويّ، والكاتب البليغ، واللسان الفصيح، تراه إن اقتربت منه وتحاورت معه آيةً في التواضع، ومَثَلًا في خفض الجناح، وطيب المعشر!

ولقد كلّمته في غضبه، بل في شدّة غضبه، فكان يُلَمِّح ولا يُصَرِّح، وكان يتألّم ولا يحبّ أن يتكلم، ودار الحديث بيننا حول عددٍ من النّاس تخصّصوا في الحطّ من شأن

المقاومة وكانوا عليها لسانًا سليطًا حديدًا، فما جاوز الرّجل حدّ قول كلمة لا تليق به!

وعلى قدر ما كان قويًا في ردّ الباطل ودحض شبه المشكّكين كان رؤوفًا رحيمًا بالأمّة..

وقد شاء الله أن يُخرج منه أحسن ما فيه في آخر أيّامه.. فلقد كتب كثيرًا عن "التربية بالأحداث"، فمزج فيها بين علمه بالأصول، وعلمه بالتربية، وعلمه بالجهاد، وعلمه بالسياسة.. فردَّ على الغلاة والجُفاة، وردَّ على الخوارين والمثبّطين معًا. فكأنّ هذا الطوفان كان التنّور الذي أخرج من أبي محمود أنضج ما فيه وأطيب ما فيه.

وكانت آخر مكالمة لي معه قبل يومين من استشهاده، ففي ذلك اليوم قُصِفت خيمته لكن أصيب فيها بعض أهله وجيرانه، وأشيع خبر استشهاده.. ولحيائي منه وخوفي عليه تتبّعت الخبر من غيره حتى عرفتُ بسلامته ولم أراسله، فاتّصل بي في هذه الليلة يطمئنني على نفسه ويخبرني بمن أصيب من أهله وجيرانه.. فإذا بالذي هو في حومة الموت وفي غمرة الكرب يطمئنني أنا، فأي فضلٍ وأيّ رفعة وأي مقام؟!

فلما عرفتُ أني منه قريب إلى هذا الحدّ، وسمعتُ نبأ استشهاده، بادرتُ فراسلتُه مطمئنًا عليه، وهي الرسالة الوحيدة التي لم يرها، فلقد صحَّ الخبر عنه هذه المرّة، واستشهد وارتقى مع أهله وولده إلى الجنة بإذن الله..

وإن ربّنا الرؤوف الرحيم قد اختار لأبي محمود ميتة لو أنّ الناس يختارون ميتاتهم لما اخترتُ سواها، ولكنّها دالة بإذن الله على مقامه عند الله.. فقد اجتمع له شرف المعركة وشرف الزّمان وراحة البال.. فانظر وتأمّل!

1. فأمّا شرف المعركة فلقد ارتقى أبو محمود شهيدًا في معركة هي من أخلص المعارك وأوضحها وأسطعها، معركة لا يمتري فيها مؤمن، ولا يتشكّك فيها عاقل.. معركة حقٍ وباطلٍ! ثم هي معركة في أكناف بيت المقْدِس.. مسرى النّبي وموضع صَلاته إمامًا بالأنبياء، فهي ليستْ مجرد قطعةٍ من أرض الإسلام، بل هي في أرض الإسلام البُقعة المقدّسة المباركة! ثم هي معركة مع أعداءِ الله، وأعداءِ ملائكته، وأعداءِ رسله الذين عُرفوا بقتل الأنبياء، وهم أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا!

2. وأما شرف الزمان فقد ارتقى في يوم الجمعة، وهو خير أيام الأسبوع.. ثم كان يوم جمعة من الأيّام العشر من ذي الحِجّة التي هي أفضل الأيام عند الله.. والغالب عليه أنّه مات صائمًا، فما كان مثله ليُفطر في أيّامٍ يعرف فضلها، وفي حالٍ من المجاعة التي تسود غزة حتّى يضطر فيها إلى الصوم من تعود الفطر!

3. وأما راحة البال فقد ارتقى هو وأهله جميعًا.. هكذا في لحظة واحدة، نُقلوا من دار الشقاء إلى دار السعادة بإذن الله تعالى. لم يبق منهم من يحزن على

من مات! ولم يخشَ أحدٌ ذهب على من بقي.. وتلك لعمري مِيتة يحبّها كل عاملٍ –ولعله كل عاقلٍ– في هذا الزمان!

رحم الله الشيخ الشهيد أبا محمود نائل بن غازي مصران، ولا حرمنا الله أجره ولا فتننا بعده، وغفر لنا وله.. اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها.. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون!

وحفظ الله الشيخ سعد الله البلوشي، وجعل عمله هذا في ميزان حسناته..

وأكرمنا وإيّاكم بالشّهادة في سبيل الله، مُقبلين غير مُدبرين ولا مُبدّلين ولا خزايا ولا مفتونين..

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين

محمد إلهامي – اسطنبول

15 ذي الحجة 1446هـ

11 يونيو 2025م

نائل بن غازي... شهيد الكلمة الذي جمع بين أفغانستان وغزة

في خيمةٍ متواضعة على أطراف غزة الجريحة، كان الدكتور نائل بن غازي يطوي جوعه وصغاره في حضنه، يضمّهم كما تضمّ الأرضُ شهداءها، لا مال، لا طعام، لا دفء... سوى وهج الإيمان، وصبر المجاهدين.

هناك، تحت سقفٍ من قماشٍ ممزق، وبين جدران من صبر، كانت القنابل الصهيونية تمضي في جنونها، لتطفئ شمعةً لم يعرف العدو أنها ليست شمعة، بل شُعلة من نور، وقطعة من تاريخ، ومقام من مقامات الصدق.

في تلك اللحظة الحارقة، استُشهد الدكتور نائل بن غازي، مع زوجته وأطفاله، وهم جياع.

لكنهم ما ماتوا، بل عُرج بأرواحهم إلى مقامٍ لا تبلغه طائرات الغدر، ولا قذائف الحقد.

قبل أن يُستشهد، كان نائل مجاهدًا من نوعٍ آخر؛ عالمًا، مفكرًا، ناقدًا، وباحثًا شرعيًا، عرف أن الأمة تنتصر حين يكتب أبناؤها الصادقون لا لمجرد التحليل، بل لتثبيت الحق، ونصرة الجهاد، وتجديد الفقه في ضوء الواقع.

في مجلة الصمود الصادرة من أفغانستان، كتب الشهيد بقلمه الشريف، مدافعًا عن إمارة أفغانستان الإسلامية، مؤمنًا بطهر المجاهدين الذين قارعوا الغزاة الأمريكيين، كاشفًا زيف الإعلام الغربي، ومُسقطًا الأقنعة عن وجوه العملاء والمنافقين. لم يكن يكتب تقارير باردة، بل كان ينفث في سطوره روحًا من الولاء للأمة، والبغض للظالمين، وحنينًا لماضٍ مجيد يُراد له أن يُمحى.

كان يُدرك أن القضية ليست أفغانستان وحدها، بل قضية الإسلام في كل أرض، وأن الساحة الواحدة وإن تعددت جغرافيتها، فإن العدوّ واحد، والدم واحد، والمعركة واحدة

كتب في مجلة الصمود –لسان الجهاد العربي في أفغانستان– مقالات خالدة، لا تزال تُقرأ وتُتداول، ومنها:

- "الإمارة الإسلامية ومدرسة السياسة الشرعية"

- "الإمارة الإسلامية وفقه الممكن"

و ....

كلماته كانت مدادًا من الوفاء، وحبرًا من نور، يدافع عن إمارة أفغانستان الإسلامية، ويُبرز عمقها الفقهي، ويُفنّد شبهات الإعلام، ويُبين أن مشروعها لم يكن وليد البندقية وحدها، بل ثمرة مدرسةٍ إسلامية عريقة تقوم على العلم والعدل والممكن.

كان نائل يكتب عن أفغانستان وهو في غزة، لكنه كان يشعر أن الروح واحدة، وأن الجبهات تتلاقى، وأن القلوب الصادقة لا تحبِسها الجغرافيا.

ولذا، كانت غزة محطته الأخيرة.

هناك، حيث تتكثّف ملامح الطهر، ويسيل الدم كالمطر، كان نائل يمشي بين الركام، لا كزائر، بل كابنٍ شرعيٍ لتلك الأرض المجبولة بالكرامة. وهناك، نالت منه يد العدو، لكنه لم يُقتل، بل ارتقىٍ شهيدًا، كما يليق بمن عاش حرًّا، وكتب حرًّا، ومات من أجل الحرية.

فيا غزة... طوبى لكِ، إذ صار في ترابك دم رجلٍ كتب عن جهاد إخوتك في أفغانستان!

ويا أفغانستان... طوبى لكِ، إذ ناصركِ رجلٌ سُفك دمه في فلسطين لأجل كلمة قالها في حقّكِ، وموقف وقفه معكِ!

لقد أثبت نائل، أن الكلمة قد تسبق الرصاصة، وأن المقالة قد تزلزل عروشًا، وأنّ الشهيد ليس فقط من يحمل البندقية، بل من يقول "لا" في زمن الانبطاح.

ولم يكن غريبًا، أن يسقط جسده في غزة، بعدما حمل روحه إلى أفغانستان، وقلبه إلى الأمة كلّها.

يا نائل، يا من جمعت شرف الكلمة، وشهادة الأسرة، وصدق الموقف..

نمْ قرير العين، فإن مقالاتك باقية، ودمك أمانة، وأمتك ستتذكرك ما دام فيها نبضٌ حرّ.

نم قرير العين يا نائل، فما خطّه قلمك في "الصمود"، وما سُفك من دمك في "غزة"، كلاهما شهادة، وكلاهما فتحٌ في زمن الهزيمة، ياشهيد العزة والكرامة!

نمْ قرير العين، فقد اجتمعت لك أطهر الميتات؛ جوع المجاهدين، وخيمة الصابرين، وقصف العدو، وموت الأسرة على الإيمان.

من أفغانستان إلى غزة، أنت علامة على أن كلمة الحق لا تموت، بل تمضي لتصنع أجيالًا من المجاهدين بالفكر والدم.

عبدالرحيم (ثاقب) أحمد مختار (مساعد وزير الداخلية الأفغاني)
كابُل – إمارة أفغانستان الإسلامية
1447/1/1 هـ.ق - 2025/6/26م

مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المعلّم الأول، النبي الأميّ محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

تُعدّ الكتابة من أبرز وسائل التعبير عن الفكر، ونقل التجربة، وترسيخ المبادئ، وقد كانت مقالات الشيخ نائل بن غازي -رَحِمَهُ اللهُ- صورةً صادقة عن وعيه العميق، وفهمه المتزن، ونظرته الواعية إلى الواقع السياسي والجهادي والفكري الذي كانت تمرّ به الأمة الإسلامية، لا سيما في مرحلة ما بعد فتح كابل.

وكان مما يسّر الله لي أن اقترحتُ على الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- أن يسهم بكتاباته في مجلة الصمود، فاستجاب مشكورًا، وشرع في كتابة مقالات متفرقة، لم تلتزم بسلسلة منهجية محدّدة، لكنها حملت مضمونًا غنيًا ورؤية متماسكة، عبّر فيها عن مواقفه وتحليلاته وتوجيهاته الفكرية والتربوية. وكان يكتب على فترات متقطعة، متى ما تهيأت له الفرصة وتوفّر له الظرف، حتى ختم الله له بالشهادة، نحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحدًا.

وكم كان -رَحِمَهُ اللهُ- لطيف المعشر، رقيق الروح، عالي الأدب. أذكر أني راسلته مرة فقلت: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شيخنا الفاضل، كيف حالكم؟ كنتم تفيضون علينا بمقالات طيّبة، ومنذ مدّة لم يصلنا منكم شيء".

فأجاب بتواضع لا يصدر إلا عن الكبار:

"لم نرسل يا شيخنا لأننا انتظرنا الإذن من حضرتكم".

فقلت له مبتسمًا: "لا حاجة للإذن... المجلة مجلتكم، والكلمة كلمتكم".

وكان -رَحِمَهُ اللهُ- يكتب مقالات جميلة، يفيض بها أدبًا وحكمة، وقد كان يسألني أحيانًا: "حول ماذا أكتب؟"، فأقترح عليه موضوعًا، فيستجيب على الفور.

وذات مرة كتب إليّ يقول:

"فضيلة الشيخ الحبيب،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

هذا مقالي الذي طلبتموه مني،

بعنوان: الإمارة الإسلامية ورسائل الذكرى الأولى لاندحار الغزاة عن أفغانستان".

وفي مرة أخرى، سألته إن كان قد أتمّ مقاله، فأجابني بأدب جمّ وصدق جميل:

"حيّاكم الله يا شيخنا الحبيب، أعتذر والله لانشغالي برسالة الدكتوراه. كم بقي يا شيخنا من وقت لأنجزه إن شاء الله تعالى؟"

ورغم مشاغله العلمية الكثيرة، لم تمضِ إلا أيام قليلة حتى أرسل مقاله، في لفتة تعبّر عن إخلاصه والتزامه وحرصه على أداء ما يلتزم به، ولو في أشد أوقاته ازدحامًا.

وبعد السابع من أكتوبر، حين اشتعلت جبهات الحرب من جديد، قلّت رسائل الشيخ وندرت كتاباته. فكتبتُ إليه مرة أسأله: "هل تجد فرصة للكتابة؟"

فأجابني بكلمات تختصر حجم التضحية والظرف:

"يا شيخ، ضاعت كل أشيائي، لا أملك كمبيوترًا، ونتردد في الخيام، ولا نجد شحنًا لبطارية الجوال".

فقلت له مواسيًا: "خذ راحتك، ولا تُتعب نفسك، حتى تهدأ الحرب".

وتجلّت في هذه الكلمات حقيقة الظروف التي عاشها الشيخ -رحمه الله-، وقدر المعاناة التي رافقته، ومع ذلك لم يتخلّ عن دوره، فاستمر يكتب كلما تيسّر له السبيل، حتى ختم الله له بالشهادة، وخلّف هذه المقالات التي بين أيديكم.

وكانت كلمات الشيخ بعد فتح كابل ذات وقع خاص، إذ كتب إليّ مهنئًا بفرح ظاهر:

"قلوبنا طربت لنصركم، زدتم همتنا همة ونشاطًا".

فقلت له متأثرًا: "والله إننا نظن أننا في المنام حتى الآن".

فأجابني بكلمات باقية: "لستم في منام، بل الأمة في منام وأنتم أيقاظ".

فقلت له: "رزقكم الله سجدة الفتح على أعتاب القدس الشريف".

فقال: "نصركم ضخّ في الأمة الصبر والجلد والتحدي، نحن في غزة نتابع لحظة بلحظة، الله يكتب أجركم ويرفع ذكركم ويعلي شأنكم، رفعتم رؤوسنا والله، نحبكم في الله".

وستطالعون في الصفحات التالية ملامح الحماسة الصادقة، والدفاع المستميت الذي أبداه الشيخ نائل بن غازي -رحمه الله- عن الإمارة الإسلامية في أفغانستان؛ دفاعًا ينبع من إيمان عميق بمشروعها، وثقة راسخة بمستقبلها، واعتزاز واضح بتحقّق وعدها بعد سنين من الجهاد والصبر.

وإيمانًا مني بأن هذه المقالات تمثّل إضافة قيّمة في بابها، وتوثيقًا مهمًا لتجربة فكرية وجهادية فريدة، فقد رأيت أن أجمعها في هذا الكتاب، محافظًا على ترتيبها الزمني قدر المستطاع، ودون تدخل في نصوصها الأصلية إلا ما اقتضته الضرورة من تحريرٍ لغوي أو توضيحٍ عارض، وذلك ليبقى صوت الشيخ حاضرًا، وفكره ممتدًا، يستنيرُ به الباحث والطالب والقارئ المهتم.

وفي ختام هذا العمل، لا يسعني إلا أن أرفع أسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذين الجليلين: فضيلة المولوي ذبيح الله مجاهد، المتحدث الرسمي باسم إمارة أفغانستان الإسلامية، وفضيلة الأستاذ محمد إلهامي، الباحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، وصاحب القلم الحر والفكر العميق، على كريم تفضّلهما بتقديم هذا الكتاب، ومساهمتهما القيمة في تصديره بمقدمتيهما الوازنتين. فجزاهما الله عني وعن هذا العمل خير الجزاء، وبارك في علمهما وجهدهما، ونفع بهما.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبّل الشيخ نائل بن غازي في الشهداء، وأن ينفع بهذه المقالات كما نفع بصاحبها في حياته.

سعدالله البلوشي – جاكرتا

1446/12/15 هـ.ق

الشيخ المهندس د. نائل بن غازي -رحمه الله- في سطور

وُلد الشيخ د. نائل غازي عبد الغني مصران، يوم الاثنين 29-4-1400هـ الموافق لـ 17-3-1980م، في مدينة رفح جنوب قطاع غزة، وهو من أسرة لاجئة تعود جذورها إلى بلدة يبنا في فلسطين المحتلة.

الشيخ نائل، هو الأخ الرابع لخمسة أشقاء ذكور، لم يبقَ منهم إلا واحدًا أكبر منه؛ نضال، وتوفي الباقون، وله ثلاث أخوات على قيد الحياة.

نشأ الشيخ وترعرع كبقية أبناء اللاجئين، فدرس مراحل الدراسة الابتدائية والإعدادية في مدارس الوكالة (الأونروا)، والثانوية في مدرسة بئر السبع الحكومية في محافظة رفح.

أنهى الشيخ الثانوية العامة (القسم العلمي) عام 1998م، والتحق بكليّة الهندسة بالجامعة الإسلامية، فرع الهندسة المدنية، وتخرّج منها عام 2006م.

خلال دراسته للهندسة، وفي عام 2002م، وعن عمر 22 سنة، تزوج الشيخ من أرملة أخيه الذي توفي في حادث سير في تركيا، فغادرت زوجه إلى غزة، حيث أنها كانت وأهلها يعيشون في السعودية، فاضطرت لغزة مع طفلها لأن إقامتها في السعودية كانت قد انتهت، فخطبها الشيخ بنفسه ووافقت وهي ابنة عمه في الأصل، ورزقهما الله بأربع بنات وولد؛ سهام، وسمية، ومحمود، وشيماء، وريم، وجميعهم لم يبقَ منهم أحد - رحمهم الله رحمة واسعة -.

وبعد أربع سنوات من إنهائه كلية الهندسة التحق مرة أخرى بالجامعة الإسلامية لدراسة الشريعة والقانون عام 2010م، مع ممارسة ميدانية للدعوة إلى الله، والمشاركة في مجالس العلم خارج الجامعة مع المشايخ والدعاة.

وتحصّل على درجة الماجستير في الفقه المقارن، من كلية الشريعة والقانون عام 2012م، وكان عنوان رسالته: (مبدأ التمييز والضرورة الحربية في الشريعة الإسلامية).

ثم تحصّل على شهادة الدكتوراة من السودان (عن بعد) عام 2022م بتقدير

ممتاز، بعنوان: (تقريرات ابن تيمية في كتاب السياسة الشرعية تخريجاً على قواعده الأصولية).

ارتقى الشيخ وزوجه وجميع أبنائه بقصف مباشر على خيمته، يوم الجمعة، الثالث من ذي الحجة لعام 1446هـ الموافق لـ 30 - 5 - 2025م، قبل العصر بحوالي ساعة، وارتقى معهم جيرانهم في الخيمة؛ ستة من عائلة الأسطل بينهم أربعة أطفال.

وفي اليوم التالي، ارتقى سعيد الكرد زوج ابنته الكبرى سهام، وهي الوحيدة المتزوجة، ولم يمضِ على زواجهما شهر واحد.

يقول اللغوي والمؤرخ الفلسطيني؛ د. أسامة الأشقر، متحدثاً عن الشيخ نائل:

"ارتحل الشيخ جائعًا هو وأسرته، وقد حدثني أحد أصدقائه أنّه كتب قبل ارتقائه في مجموعة واتساب يشارك فيها أنه سيبيت ليلته حزينًا لأنه لم يجد ما يطعم أولاده الذين يفتك بهم الجوع؛ فقد كان الشيخ عزيز النفس جدًّا فوق أنّه سخيّ جوَاد، وكان إذا خصّه أحد أحبابه بطعام أو مال في المسغبة الشديدة يدعو له دعاءً عريضًا لأنه كان سببًا في عدم إراقة ماء وجهه في الطوابير أو سؤال الناس.

إذا جالستَ الشيخ أبا محمود فستراه مرآة صافية ذا فطرة نقيّة، وأدب جمّ، وحياء شديد، وإذا سمعتَه فستسمع في صوته أنينًا وحنينًا يشدّك إليه، ويدفعك لإكمال الاستماع إليه، فقد كان فصيحًا بليغًا، وكان خطيبًا مفوّهًا تتداعى المعاني إلى لسانه، وكان يكره أن يوصف بالعالِم، ولا يرى نفسه إلا طالب علم، وأنا عندما أعدتُ قراءة ما كتبه في منصاته أجده يغرف من علم متمكّن، ونظر أصيلٍ، وبيان رائق، وتصوّف جميل، ولو امتدّ به العمر وفسَح الله له في الأجل فسيكون آية مشهودةً مؤثرة في الناس، ولكن الله أعلم بأقداره وتدابيره.

لم يكتم الشيخ نائل علمه، وأبَى أن يخفي نفسه، ولم يناوِر، ولم يقبع في خيمة معزولة أو ركن بعيد كما فعل كثيرون ممن يجب عليهم البلاغ، بل قرّر أن يكون جبهةً في الدفاع عن أهل الثغر، والذبّ عنهم بكل قوّة، وسخّر لسانه وقلمه لأجلهم، وكان ذا حجّة متينة، ولسان صارم لا عيب فيه، وإيمان راسخ لا يهتزّ.

وكان يحب استذكار ذكرى المقاتلين الذين ارتقوا في ساح المعارك، ويحفظ أسماءهم، ويوثّق كفاحهم، ويستدعي علامات الصلاح التي بدَت فيهم، ويستحقر نفسه أمامهم، وكثيرًا ما كان يتحسّر على ما فاته من إدراك النعيم الذي حلّوا فيه.

هذا الرجل من الأولياء النجباء الذين اصطفاهم الله إليه فيما نحسب، وحقّ على

الناس أن يجمعوا تراثه المكتوب في منصاته، وخطبه ومحاضراته وكتبه، وأن يوثقوها، وأن ينشروها بين الناس ليتعلّموا منها الثبات، ومعاني الإيمان النقيّ، وآيات التدبّر الشاهدة، وأحسب أن الله سيجعل في ذلك ذكرى وبركة للمؤمنين، وتجربة هادية للمسترشِدين، وحجّة على القاعدين من المدّعين والمتعالِمين.

رحمك الله أبا محمود، وجعل لك في الناس بقيّة وأثرًا وصدقة جارية صادعةً بالحقّ".

قولـــوا لنائل قـــد سَـــمَوتَ إلى العُلا
نِلـــت الشـــهادة غايـــة الغايـــاتِ

إن شـــاء ربّـــي أنـــت في رضوانـــه
بـــين القصـــور، وبهجـــة الجنّاتِ

وســـمُ الشـــهادة في الســـماء مبجّل
وســـمٌ يشـــع هنـــاك بالهـــالاتِ

يـــا نائـــل العـــزّ العظيـــم، تحيةً
منّـــي إليـــك بهـــذه الأبيـــاتِ

بلّـــغ ســـلامي للأســـود جميعهم
هـــم عندنـــا ليســـوا من الأمـــواتِ

هـــم بالســـعادة بالخلـــود نعيمهم
يبقـــى وليـــس يُعـــدّ بالأوقـــاتِ

أزكـــى الأنام هـــو الشـــهيد بدِيننا
تـــاجُ الفخار عـــلى ذُرا الهامـــاتِ[1]

(1) أبيات للشيخ حامد العلي.



وَكانَت في حَياتِكَ لي عِظاتٌ
وَأَنتَ اليَومَ أَوعَظُ مِنكَ حَيّا



أخي أنت من أنت؟ [1]

أنت إذا لم يبدأ بك التاريخ فاعلم بأنه منكوس، وإذا لم يثنِ عليك سفر المكارم فاعلم بأنه منحوس، أنت سليل أجداد كسروا سيوفهم في بدر على رؤوس أهل الكفر، ثم أرسلوا شظاياها لصلاح الدين في حطين فقهر بها الصليبيين، رددوا في أُحُد ﴿قل هو الله أحد﴾ فسحقوا من جهد وقطعوا دابر من فسد، لسان حالهم:

إذا بلـــغ الرضيع لنـــا فطامًا
تخرّ لـــه الجبابر ســـاجدينا
ونـــشرب إن وردنا المـــاء صفوًا
ويشرب غيرنـــا كـــدرًا وطينًا

أنت سليل أجداد ملكوا القياصر ثم أعتقوهم، كسروا الجبابرة ثم أطلقوهم، أنت من نسل من يقولوا: حي على الكفاح، فإذا نادى المنادي: يا خيل الله اركبي! قاموا للموت يستبقون لقياه، فجمّد الله تعالى لهم الماء وظلل عليهم الغمام من السماء.

نحن هل تـــدري؟ بنا للناس فجر
قصدنـــا جنـــة مولانـــا وأجر
قد ملأنـــا الأرض عـــدلًا وافرًا
سِـــوانا في الورى عجـــر وبجر

نحن من أمة تملك أعظم كتاب، لا تعرف ركوعًا إلا لرب الأرباب، نحن من أمة آل عمران والأنفال وبراءة الكاشفة، وقواصم ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ القاصفة.

أنت تنتمي إلى أمة حية، إن رفع علماؤها ومخلصوها على أعواد المشانق وضاقت بهم والجلادين السبل والمضايق كانت كلماتهم أطول من أعمار جلاديهم، فيا لله كيف قال سيد:

---

(1) نُشرِ في مجلة الصمود، العدد 156 (جمادى الآخرة 1440هـ - فبراير 2019م).

أخـــــي فامضِ لا تلتفـــــت للوراء
طريقك قـــــد خضبتــــه الدماء
ولا تلتفـــــت ها هنــــا أو هناك
ولا تتطلــــع لغــــير الســــماء
فلســـــنا بطير مهيــــض الجناح
ولن نســــتذل ولن نســـتباح
وإني لأســــمع صــــوت الدماء
قويا ينــــادي الكفــــاح الكفاح

هذا المختار عمر -رَحِمَهُ اللهُ- ينصبه موسليني على أعواد المشانق، فيقول: نحن أمة لا ننهزم ننتصر أو نموت، فتبقى كلماته حية، وأما موسيليني هذا -شانقه- .َلَبه قومه ثم قتلوه منكوس الرأس، فيا الله أي الفريقين خير وأبقى؟

أيها المبارك أنت تمتلك ما لا يمتكله خصومك؛ أنت تمتلك التاريخ والوعد المنتظر: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 171-173]، لهذا -أيها المبارك- أنت تنتمي، إلى تاريخ زاخر.

ووالله يا كرام كل هذا طارئ ليس بأصيل، ووالله لنعودنّ، ارفع رأسك أنت تملك التاريخ والوعد المنتظر.

أنت تنتمي إلى أمة فيها جيل أجبر أمريكا أن تعترف بهزيمتها، فهذا الساقط أوباما -من مواطن قوته في البنتاغون- يعلن أن أمة الإسلام لا يمكن أن تهزم بحال، وأنه ما استطاع أن يقضي على الطائفة المؤمنة في أفغانستان.

أنت أيها المبارك تنتمي إلى هذه الأمة فارفع رأسك لا تنهزم وحذاري حذاري من أن تكون لقطة في سيرٍ مهين، فإنك تملك التاريخ وتملك الوعد المنتظر.

صبرًا أخي في محنتــــي وعقيدتي
لا بد بعـــــد الصبر مــــن تمكين
ولنا بيوســــف أســـــوة في صبره
وقد ارتمى في الســــجن بضع سنين
هوّن عليــــك الأمــــر لا تعبأ به
إن الصعـــــاب تهــــون بالتهوين

تسليم أفغانستان لحركة طالبان مؤامرة! [1]

الشعور بالدونيةِ للغرب والاستئسارُ لوهم قوته؛ بريدُ القناعة بحتمية نظرية المؤامرة في نفوس المهزومين. وضحايا هذا الشعورِ الدوني حتمًا سيرون في الشمس جزءً من العذاب، وفي القمر جزءً من حصار الظلام، وسيرون النور خيوطًا من مؤامرةٍ كونيةٍ تستهدف عميقَ الظُلمة في نفوسهم. وإنْ صالت للحق صولة الجهاد زمنًا وعقودًا، جعلوها -مع آلامها وحصارها- جزءً من إعادة تأهيل وترويض المجاهدين!

في صبيحة يوم السابع من شهر الله المحرم غربت شمسُ الإمبراطوريةِ الأمريكية عن قاهرةِ الغزاة؛ أفغانستان، وخرجت أمريكا تجر ذيولَ الهزيمة النكراء، في مشهد علوِّ الحق على الباطل وإتمامِ وعد الله لعباده المؤمنين.

بعد عشرين سنةً من الصلف والكبرِ والعربدة، أرغمت طالبانُ الحلفاءَ على الخروج أذلاءَ، وشهدت الأمة جزءً من وعد الحق الذي يجبُ أن تعيش عليه ولأجله يقينًا، وهي ترى ثقةَ العبد الصالح الملا محمد عمر -رحمه الله- وهو يقول في أول أيام الغزو بعد أن صرح كبيرُ الغزاة بوش: "العالم فسطاطان، إما معنا وإما علينا". فقال الملا محمد عمر -رحمه الله-: "إن الله وعدنا بالنصر، وإن أمريكا وعدتنا بالهزيمة، فسنرى أيّ الوعدين ينجز أولًا، واللهِ لن ينجزَ إلا وعد الله".

وفي لحظات قليلة مرّت الأحداث كشريطِ الذكريات على كل تلك الشعاراتِ التي عظّمها الطغاةُ كأنها اليقين: أنّ دعوة الإسلام إلى أفول وأن الجهاد قد فُض سوقُه براجمات الصواريخ وحاملات أطنان القذائف، فمن الصفحة الأولى في مجلة التايمز والتي حملت: "الأيام الأخيرة للطالبان"، إلى الصفحات الأولى في كل صحف الدول الغربية المشاركة في الغزو: "أمريكا تتجرع الهزيمة"، "الإذلال الأكبر لأمريكا"، "سقوط كابل"، وصورُ الإجلاء المخزي للرعايا من البلاد. هي لحظات حاسمة وفاصلة في تاريخ أمتنا العظيمة؛ بل طبيعيةٌ جدًا لأمة فيها نداء النبي -ﷺ- يحرض: (والذي نفسي بيده لوددتُ أن أغزوَ في سبيل الله فأُقتَل، ثم أغزوَ فأُقتَل، ثم أغزوَ فأُقتَل). مسلّمات لا مفاجأة فيها لمن عمّر اليقينُ قلبه بحتمية النصر ويقينِ الغلبة.

وليس في ذلك شيءٌ يعكر لحظاتِ النصر إلا تلك الأصواتُ التي عاشت مرحلةَ الهزيمةِ النفسية والشعورِ بالدونية، فجعلت كلّ ما تراه بعين الرأس

(1) نُشرِ في مجلة الصمود، العدد 187 (محرم 1443هـ - أغسطس 2021م).

وعين الحق يقينًا جزءً من مؤامرة كبيرة! في سخف باهت وضحالة نظر، لك أن تتخيل أنّ أمريكا وحلفاءها غزو أفغانستان لإسقاط حكم الطالبان وأنفقت في سبيل غايتها قرابة 3 تريليون دولار، وقُتِل منها 6000 جندي، وأضعافهم من المعاقين، ومُرغت هيبتُها في التراب قبل وبعد كل ذلك فقط لأجل تسليم أفغانستان وإعادة تأهيل الطالبان!

فالله الله كم أنت عبقري يا هذا! أيها المسكين عادت الإمارة –بفضل الله– ومعها رسالة الحق، ودعوةُ النفير، وإلهامُ الساحات المشتعلة، لاسيما في غزة، عنوانها: قل للذين يرقبون سقوط جهادنا ويلكم! متى رُفعت للجهاد راية لتُهزم القهقرى؟! ويحكم! إنا على وعد النصر، نرقب زمانه، نصول ونجول، وإنّا بالِغو زمانه ولو كُسِرت النصول على النصول.

فيـــا عـــاذلي دونـــك الأرض
فالـــزم قعودهـــا متكاســـلًا
ودع المـــكارم لا ترحـــل لهـــا
واقعـــد طاعمـــاً متناســـلًا

ففي ميدان الثبات لا مجال لأنصاف الرجال المترددين، وفي معركة المصير لا مكان للرماديين القَلِقين، هي معركة سنكون فيها سادةً أعزاء أو محرّضين بحد الدم شهداء.

طالبان الجديدة وعوامل القوة المؤثرة في مسيرة التحرير (1)

إن من دلائل الفقه في تصور الحالة الطالبانية القائمة ومتابعة تطورها في فرض معالم منهجها لفقه الإمارة التي سعت لها سعي المجد على جمر الصبر والمجاهدة؛ الإدراكُ التام أنها لم تكن في أي لحظة من لحظات البناء مجرد حركة عابرة جاءت نتيجة ردة فعل محدودة على الغزو العسكري لأفغانستان، وعليه فهي بلا رؤية ولا بُعد استراتيجي، ولا استشراف حقيقي لمستقبل ديمومتها.

فطالبان كانت ولازالت تمثل حالة امتداد طبيعي لمسيرة الأمة الإسلامية عبر مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها والمتمثلة بالدعوة والجهاد والبناء، فهي امتداد لدعوة الحق –تعالى- وجهاد النبي –ﷺ- وفقه الدولة النبوية في المدينة.

ولهذا جمعت الطالبان عوامل قوة مؤثرة في معركة الحسم مع التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة، تجلت نهاية نصرها الكبير عن طالبان جديدة؛ جمعت بين أصالة المنهج، وثبات المبادئ، وعمق النظر، وقوة البناء والإدارة، ومتانة التنظيم، وسبر الحوادث العظام، فخبرة التخطيط، فإعجاز الرؤية الاستراتيجية لمستقبل البلاد. تمثلت عوامل القوة في جملة نقاط من أبرزها:

1- عدالة القضية وسمو المبادئ وارتباطهما ارتباطًا وثيقًا بدعوة الحق التي أرسل الله –تعالى- لأجلها الرسل، وأنزل معهم الكتب، فنالت طالبان شرف الشرعية لشرف الغاية التي رفعت لأجلها راية الجهاد عشرين سنة دون كلل أو ملل، لتقيم في الناس معالم الدين الخالص من كل شرك، فيُعبد الله وحده لا شريك له في ملكه وسلطانه وحكمه. عدالة مستمدة من قوة صاحب الحق والأرض في وجه الطارئين الغزاة لصوص التاريخ والأرض والمستقبل، وأدواتهم في البلاد.

2- النجاح المستمر في معركة الوعي ومتابعة بناء الجيل وتربيته على حب الجهاد والاستشهاد وغرز معالم الانتفاضة المستعرة فيه لمواجهة الغزو العسكري والثقافي الرامي لسلخ الجيل عن عقيدته ودينه ومبادئه وأخلاقه.

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 188 (صفر 1443هـ - سبتمبر 2021م).

فعلى الرغم من طول مدة الغزو، وتعاقب أجياله إلا أن الطالبان –وبفضل الله– نجحت في إدارة معركة الوعي إدارة واعية وازنة محافظة، بل وتفوقت في إبقاء وعي الجيل حيًا مرتبطًا بقضيته مؤمنًا بعدالتها موقنًا بحتمية نصرها، فغالب الجيل الذي شارك في معركة التحرير لم يكن في طليعة المعاصرين لبدايات الغزو وسعار قصفه وحقده، بل كان هدف غزوات الإسقاط الممنهج والانسلاخ عن الدين ومنظومة الأخلاق والتقاليد، فصنعت منه طالبان، من بين فرث ودم، جيل النصر والتمكين وبناء الإمارة.

3– الموازنة الدقيقة بين الثوابت والمتغيرات المتعلقة بأبواب السياسة الشرعية من غير اختلاط أو طغيان، فالثوابت غير قابلة للمساومة أو النظر بغير عين التسليم والإذعان. فالحركة لم تسع في جهادها لطرد المحتل وبناء الإمارة الراشدة لقبول المناطق الرمادية وأنصاف الحلول في المسائل المتعلقة بالثوابت الشرعية والمسلمات العقدية. ما جعلها موضع احترام وتقدير عند الخصوم، وأما المتغيرات ففي مسائلها سعة مضبوطة بمصدرية الكتاب والسنة وبناء النظر والاجتهاد على أصولهما، فتحركت الحركة وفق المساحة المأذون بها شرعًا، مدركةً لطبيعة المرحلة وحساسية الاختيارات فيها. فأبدعت وأبهرت وأحسنت وكانت بذلك موضع ثقة المراقبين والمتابعين والحاضنة الداعمة لها طيلة سنوات الجهاد ومسيرة التحرير والإجلاء.

4– الحاضنة الجماهيرية: أدركت قيادة الطالبان الرشيدة دور الحاضنة الجماهيرية في استمرار جذوة الجهاد ودعم مسيرة قيادته، فكان من أبرز عوامل قوتها في مسيرة التحرير: أن عملت على تبني قضايا الحاضنة الجماهيرية المصيرية والدفاع عنها في وجه سياسة الاحتلال وثقافته الممنهجة، فحافظت على هوية الحاضنة الإسلامية من موجات التغريب، فكانت حقوقها وضمان حرية صياغة مستقبلها –بعيدًا عن التدخلات الخارجية واللوثات الداخلية– حاضرةً في مراحل التحرير العسكري والسياسي التفاوضي.

5– واقعية الطرح: فهي لم تطرح نفسها بديلًا عن أحد، وإنما مثّلت الشعب الأفغاني التي هي جزؤه الأصيل الفاعل فحظيت به ومعه على أحقية القيادة والتمثيل.

طالبان اليوم تقود البلاد بجدارة كجدارة منازلة المحتل ومفاوضته طيلة

العشرين سنة، فكانت قديمًا وحديثًا نموذجًا فريدًا خليقًا بأن ينال شرف الأستاذية في السياسة والحرب. فلله درها وعلى الله أجرها.

❊ ❊ ❊

الإمارة الإسلامية ومدرسة السياسة الشرعية (1)

جاء في الحديث عن عياض بن حمار المجاشعي -ﷺ- أن رسول الله -ﷺ- قال ذات يوم في خطبته: (ألَا إن ربي أمرني أن أُعَلِّمَكم ما جَهِلتم، ممَّا علَّمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نَحَلتُه عبدًا حلال، وإني خلقتُ عبادي حُنَفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن لا يُشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطانا...).

فالله –تبارك وتعالى– لم يخلق عباده عبثًا، ولم يتركهم هملًا؛ إنما خلقهم الله –تعالى– لغاية عظيمة، وهي الدخول في شرائع الدين كافة دون ترك شيءٍ منها إعراضًا أو استحسانًا عقليًا متحكِّمًا في مدلول النص، مخرجًا له عن حقيقة ما أُنزل له، ثم أودع الله –تعالى– عباده قوةً واستعدادًا لقبول الشريعة بأحكامها وتعاليمها –رغبةً– دون غيرها من الشرائع المختلقة.

ولرفع الحرج عن العباد أرسل الله –تعالى– لهم أنبياءه معلمين ومرشدين، فلم يتركوا ما فيه تمام الصلاح بتحقيق مصالح العباد إلا ودلوهم عليها دلالة رشاد وإرشاد، وجعلوا ذلك من مقاصد الشريعة الإلهية على قاعدة: تمام العدل والرحمة والمصلحة والحكمة، بل وجعلوا كل ما خرج عن ذلك لضده من الجور والظلم والمفسدة والعبث؛ ليس من الشريعة الإلهية المرضية وإن أُدخلت فيها بالتأويل الفاسد.

ولقد قام نبي الله -ﷺ- في أمته مقام الناصح الأمين المؤدي للأمانة على وجهها دون تقصير –وحاشاه– فما ترك شيئًا يقرب من الجنة إلا وأمر به، ولا شيئًا يباعد عن النار إلا وحذر منه، حتى ترك أمته على الطريق الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، قَالَ أَبُو ذَرٍّ -ﷺ-: (لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا).

وزيادةً في أداء الأمانة على وجهها حذر النبي -ﷺ- من الابتداع في الدين، والاختراع فيه استنادًا للهوى والاختيارات النفسية العقلية الظنية غير المبنية على معرفة الدليل الشرعي بيقين ثبوته ودلالته، بل ورفْعها عليه، وجعلها حاكمة عليه مؤخرة له ليكون تابعًا لا متبوعًا!!

ولما كانت هذه المسألة من الدقة بمكان وهي بوابة للفتق في الدين –جهلًا أو تفلّتًا– وهي موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهي مقام ضنْك، ومعترك

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 190 (ربيع الثاني 1443هـ - نوفمبر 2021م).

صعب، فرّطت فيه طائفة؛ فجعلوا الشريعة قاصرة مفتقرة لما يكمّل بحثها عن مصالح موهومة في نفوسهم، وأفرطت فيه أخرى؛ فسوغت ما ينافي حكم الله ورسوله -ﷺ- لظنهم قصور النص الصريح عن الغرض، وجواز تقدير المصلحة وفق ما تقتضيه الظروف، دون الالتفات إلى حاجة ذلك التقدير إلى علم صحيح بمراتب الأعمال ودرجاتها وتفاوتها، ثم نسبوا ذلك زورًا للسياسة الشرعية!

مهملين ومخالفين لأصل أصولها وضوابطها: الطاعة المطلقة لله -تعالى- والمتابعة التامة لرسوله ﷺ. وإن المتأمل في مسيرة طالبان واجتهاداتها السياسة، يدرك تمامًا أنها قامت لهذا المضمار قيامة المستبصر للهدى بدليله، المستمسك بقواعده وأصوله من غير تفريط، ووضعت قدمًا ثقيلة في ميدان السياسة الشرعية، فأقامت الشريعة مقامها الواجب، وجعلت اجتهادات العقل تابعة لها لا مقدمة عليها، فأبهرت من غير تفريط، وأبدعت من غير تجاوز.

تضبط أولويات اختياراتها مراعيةً الحذر في النسبة الواجبة بين الأولويات المطلقة والنسبية، وفق قواعد موزونة من غير طغيان جانب على آخر. ففي الأولويات المطلقة المتمثلة بحاكمية الشريعة، لا تقبل حتى التردد أو المساومة، وتجعل رؤاها المرحلية والاستراتيجية تابعة لمقتضى التصور الشرعي الذي لا يسوغ العدول عن أصوله.

وإن رأيتَ مطلق اجتهاداتها وخطاباتها مع الدول والجماعات والحاضنة الأفغانية؛ تدرك كم أحسنت طالبان في فهم تغير ظرف الزمان والمكان في طبيعة اختيارات أولوياتها النسبية القابلة للمناقشة من غير تشدد أو تعنت، في رسوخ ينمُّ عن فهم عميق لمقاصد نصوص الوحيين كتابًا وسنة، قضاءً بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وفقهًا في مراعاة خير الخيرين وشر الشرين عند التزاحم، ودقةً في فهم المقاصد والموازنات.

ولازالت طالبان مدرسةً كبيرةً عظيمةً في الجهاد والسياسة، خليقٌ بكل طالبِ علمٍ ومجاهدٍ أن يُقيم تجربتها في الجهاد والسياسة مقام الدراسة والتعلم، مع موفور الإجلال والإكبار.

الإمارة الإسلامية وفقه الممكن [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم أما بعد:

إن كمال الدين وتمام النعمة به من أجلّ نعم الله -تعالى- على عباده، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فاستقرت الشريعة تامةً، قد جمعت: تبيان كل شيء، ودلالة كل خير، وأمارة كل هدى وتيسير، وتنظيم النسبة بين الميسور والمعسور.

فقد جاءت الشريعة الغراء بنفي الحرج عن العباد، وجعلت للضرورة أحكامها، وجعلت التكليف فيها منوطًا بالقدرة، وجعلت المشقّة جالبة للتيسير، فقال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]. وإن الكيانات الإسلامية مأمورةٌ بمقتضى قواعد الشريعة أن تفعل مقدورها، ويكون -حينئذٍ- فرضَها وواجبها، ولا تكلف فوق طاقتها، فإذا أمكنها فعل بعض الواجبات دون بعض، فإنها تؤمر بما تقدر عليه، وما عجزت عنها يبقى ساقطًا، ولا تُكلف بترك الكل لسبب البعض والعجز عنه، فالميسور لا يسقط بالمعسور.

وإنه من نافلة القول عند الحديث عن مرحلة المخاض التي عاشتها الإمارة الإسلامية على مدى عشرين سنة من مدافعة الاحتلال الدولي لأفغانستان، إلى حين إجلائه بالمواجهة العسكرية المتواصلة: أن الإمارة تحتاج -وجوبًا- بعد كل تلك السنوات التي عصفت بالبلاد والشعب الأفغاني، إلى ما يعزز صمودها، ويساهم في بناء مؤسسات الدولة بناءً متينًا، ويساعد في التغلب على أتون الفتن الداخلية المستمرة، ويضبط حدود نطاق حكمها مع جيرانها، ويعيد الإمارة لصدارة المشهد الدبلوماسي، واستحقاق التمثيل الشرعي الوحيد للشعب الأفغاني في المحافل الدولية، وكل ذلك من ضرورات الاعتراف بالإمارة الإسلامية ككيان مستقل له هويته ونظامه في المنظومة الدولية، وما ينبني عليه من تشكيل ملامح سياساتها الداخلية والخارجية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وليس ذلك بالأمر باليسير أو الهيّن، ولا يُتحصّلُ ذلك في يوم وليلة، لاسيما والشعب الأفغاني قد تعرض في سنوات الغزو لحملات تغريب مركزة ممنهجة قادتها مَكّنات الغزو الإعلامية والثقافية الاحتلالية، وأعانها عليها أعوان الاحتلال من ضعاف الدين والنفس، لهدف مسخ الشعب الأفغاني عن هويته

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 191 (جمادى الأولى 1443هـ - ديسمبر 2021م).

الإسلامية، وغرس بذور الفساد في نسيجه الاجتماعي وتجذره، وسقيه بماء التبعية للغرب.

فاحتاجت الإمارة الإسلامية لقوةٍ مضاعفةٍ للارتقاء بالشعب الأفغاني من حضيض ما وُضع فيه –مكرًا– لينهض والإمارة الإسلامية للرسالة العالمية: في تحكيم الشريعة، وإرساء العدل، ومناصرة المظلوم، وتبنّي قضايا المسلمين.

وإلى حين الوصول إلى الغاية المنشودة، فإن الإمارة الإسلامية لازالت تكافح في حدود فقه الممكن، وتوازن بين المواقف والتصريحات بحدود المأذون به شرعًا من خلال الفهم الدقيق الراسخ للثوابت والمتغيرات، والعلاقة الدقيقة بينهما.

فتقاتل مجتهدةً في ميدانيْ: البناء بعد التحرير، ومواجهة سياسات محاولات العزلة الدولية المضروبة عليها، لغرض الابتزاز، وكسب المواقف، وإلزام التنازل، وضرورة التفريط.

فتختار الإمارة الإسلامية الخطاب الدبلوماسي الواقعي المناسب، الذي لا يخالف الشريعة الإسلامية، ولا يتجاوز حدود قدرة تَحمّل تبعاته في مرحلة البناء؛ على اعتبار أنه غاية الميسور الآنيّ، ولا يحمل إشارات الضعف أو الانكسار الموهِمة بجدوى سياسة ممارسة الضغوط الدولية الرامية لسلخها عن مبادئها، وتلك لعَمري من دلائل رسوخ قادتها وعلمائها.

فمما لا شك فيه، أن ظروف كل معركة هي من تحدد كلياتها وجزئياتها؛ فما يكون في ميدانٍ كليًا، قد يُضحِي في ميدانٍ آخر جزئيًا تابعًا. إن الإمارة الإسلامية تدركُ أنّ العمل الدبلوماسي السياسي يمثل ميدانًا جزئيًا داخل إطار العمل الجهادي الموسّع في مرحلة احتلال البلاد، وهو يمثل الواجب الممكن –في حينه– الذي لا يُقابله واجب. وتعلم يقينًا أن العمل الجهادي يتحول –بداهةً– إلى ميدان جزئي في الإطار الدبلوماسي السياسي الموسّع عند الجَلاء وتمام نعمة النصر، ولكلٍّ خطابه الذي يناسبه، ولكلٍّ فقهه الممكن.

وإن المعركة الدبلوماسية، لا تقل ضراوةً عن المعركة العسكرية؛ بل هي شِقّها الأصعب على الإطلاق، وإن ثبات الإمارة على الثوابت الشرعية، والحفاظ على قدسيتها من غير قبول حتى مجرد المساومة عليها؛ يمثل انتصارًا حقيقيًا صعبًا، خطّه الأبرز: الانتصار على نظرية التفريط والمساومة كأحد شرائط الاعتراف الدولي.

فلم تلتفت الإمارة الإسلامية لدعاوى الترهيب المادي والمعنوي الداعية لوجوب تغيير سياستها الثابتة مقابل الوجود والاعتراف، وشقت الإمارة الإسلامية طريقها باتزان معهود موافقٍ حدود الاستطاعة المكلف بها بعيدٍ عن

الاندفاع. تدرك حجم المكر الكبير، وتتعامل مع الواقع بتعقيداته وتحالفاته المضطربة، وتعمل في إطار فقه الممكن. وبناءً عليه: يقع لها من الاجتهاد ما فيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد؛ خشية أن يعقبها مفاسد أعظم، وخوض بعض فصول معركة الأصول في غير ميدان الحديد، وكل ذلك في إطار حدود التكليف بالممكن المستطاع، لا من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات؛ لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما كان بيانه لما جاء به الرسول شيئًا فشيئًا بمنزلة بيان الرسول لما بُعِث به شيئًا فشيئًا، ومعلومٌ أن الرسول لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به ولم تأتِ الشريعة جملة، كما يُقال: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

فكذلك المجدد لدينه والمحيي لسنته لا يبالغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقّن جميع شرائعه ويؤمر بها كلها. وكذلك التائب من الذنوب، والمتعلم والمسترشد؛ لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم؛ فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يطقه لم يكن واجبًا عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجبًا لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداءً؛ بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان، كما عفا الرسول عما عفا عنه إلى وقت بيانه، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات، لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط. فتدبر هذا الأصل فإنه نافع" ا.هــ

ربما ليس بمقدور الإمارة الإسلامية أن تغزو العالم للتغيير الآن، وإنما غاية الممكن أن تقدم نموذجًا للحكم الواعي الرشيد الذي يجمع بين قوة الحسم، ومرونة التفاوض، وواقعية الطرح، ونقاء السياسة، وثبات الأصول، ما يُقطع به وَهْم نظرية الفشل المضروبة على كل التجارب الإسلامية والتي يقتات بها الطغيان، وذلك من الجهاد الواجب في مكانه وميدانه، وهو فرضها الممكن.

ربما ليس بمقدور الإمارة الإسلامية أن تجيّش الجيوش الآن لرفع الظلم عن كل مكلوم في أي بلد، وإنما غاية الممكن أن تحيي قضية المكلومين في كل محفل دولي، وكل مسار دبلوماسي، وتتبنى قضيتهم ولاءً وحبًا، في عالم يقف مع الظالم يشير ويبارك، ويعين ويشارك، وكان ذلك فرضها الممكن الواجب.

فمن تأمل هذا التقرير، وتبصّر حدود الفهم فيه، ووقف على دقيق الموازنة لمواقف الإمارة الإسلامية؛ أدرك عميق فقه اختياراتها السياسية المجافية: للمواقف العاطفية، أو الاندفاعات النفسية، أو الاختيارات الارتجالية القلقة التي لا تؤيدها سنة صحيحة، أو فهم راسخ، ولا تميز بين الأصول الثابتة والاجتهادات السياسية المبنية على فقه الممكن من غير تفريط أو تغليب جانب الهوى قصدًا.

❊ ❊ ❊

لماذا يجب أن ننتصر للإمارة الإسلامية؟ (1)

لقد مضت سنة الله تعالى القدرية أنّ المحن كاشفات عن معادن الأشياء وحقيقتها، فمنها ما يزداد بها متانةً وأصالةً، ومنها ما يذوب ذوبان الشوائب غير المحمودة في أصلها ولا في تراكيبها وإلفها.

وإنه مما لا شك فيه أن سنة المدافعة مسفرة عن طبائع الناس، كاشفة عن حقيقتهم، مظهرة لمدى نضجهم وثباتهم، وقد تتنوع في مسيرتها الأدواء وترى فيها ما لا تحسب أن يكون ولا في مخيلة النائم على رهق!

ولقد مرت الأمة بظروف أصعب مما تمر عليه الآن بمراحل عديدة؛ بل هي أسوأ وأظلم؛ وعبارات المدونين لتلك الحقب لازالت مرسومة بمداد القهر في كتب التاريخ، ترشد المستبصر للحال التي عاشتها الأمة الإسلامية على مدار مدافعتها للباطل بخيله ورَجِلِه، حتى كُسرت أقلام التدوين، وظنّ ضعاف الإيمان أنها النهاية التي لن تقوم للإسلام بعدها دولة ولا قيامة.

ولم تخلُ المعركة يومًا من قائمين للعدو في الصف إرجافًا وتثبيطًا للناسِ عن القيام بواجب المدافعة والمجاهدة تحقيقًا للفرض العيني اللازم، وقتلًا بالتشكيك في معاني الثقة بنصر الله تعالى وأن الأمور بيده يقلّبها كيف يشاء، سيرًا على سيرة الأقدمين حذو النعل بالنعل ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾، ﴿قَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، وكأنهم لم يدركوا معاني النصر في الكتاب المبين وأن الإقامة على ثغور الجهاد ضرب من أعظم ضروب النّصر وسبب رئيس لمقدماته.

ولما كان لكل مرحلة علماؤها ورجالها فقد قضى الله تعالى أن يبقى في الناس على المدى علماء يأخذون بيد الناس إلى حيث تتبع السنن ومراقبة النصر كأنه غدًا؛ ثقة بالله تحقيقًا لا تعليقًا؛ سيرًا على سيرة الأوائل ثقةً ويقينًا ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

وتلك الشواهد الحاضرة غير البعيدة ترشدك لتلك المعاني التي لا تقبل الشك إلا على أجندات النفاق أو الجهل على أحسن حال تغليبًا للظن الحسن. وإن من عظيم نعم الله تعالى على أمة الإسلام، أن جعل الجيل فيها يراقب تشكيل عوامل النصر ويعيش لحظاته، تخطه تضحيات أبنائها في بقاع

---

(1) نُشرِ في مجلة الصمود، العدد 194 (شعبان 1443هـ مارس 2022م).

المدافعة مع العدو الصائل المحتل، ومعاينة خزيه وهزيمته واندحاره.

لتعيد صياغة منظومة النظر لحقيقة الوعد الإلهي ويقين تحققه لا محالة إن استُجمعت أسبابه. فعلى أرض الجهاد، وساحة الاستشهاد، وميدان مرافقة السيف للكتاب الهادي، أعلنت الإمارة الإسلامية في أفغانستان قيام إمارتها أذانًا بعهد جديد لا ظلم ولا عمالة ولا احتلال فيه، بعد استنفاذ الوسع في توسّل أسباب النجاح الشرعية المرْضِيّة، وجاء دور العاملين من المسلمين – فرادى وجماعات- في استكمال المسيرة مع إخوانهم، لتثبيت النصر، ومشاركة الأجر –حسبةً لله وقيامًا بالفرض العيني الواجب- فأحسن التذكير مع ذلك.

لماذا يجب أن ننتصر للإمارة الإسلامية والاعتذار لها؟

* لأنّ الانتصار لها جزء من حقيقة الإيمان المتمثلة بالولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين قال الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. فالانتصار حتمٌ واجب على كل مسلم بالممكن المستطاع، ولا عجز في زمن فشوِّ وسائل التواصل، فالكلمة ونشر قضيتها، والتحريض لها، والانتصار لها، والذب عنها والاعتذار لاجتهاداتها، لا يعجز عنه المسلم.

* لأن الانتصار لها استكمال لمسيرة الجهاد، المتمثلة في بناء المؤسسات، وتثبيت عوامل القوة وتمكينها. فالمعركة لم تضع أوزراها بعد، ولازال المسلم مطلوبًا منه أن يحقق الانتصار في معركة البناء الواجب، والتي رُفعت فيها شعارات نقض التبعية، ونفض اليد من القوى الأرضية التي تمثل جزءًا من مشروع الابتزاز لتحصيل ما لم تحصّله الآلة العسكرية على مدار عشرين سنة، فلزم المسلم أن ينتصر للإمارة جهادًا ودفاعًا، في مسيرة البناء، فكسر الحصار وتخفيف آثاره فرضٌ واجبٌ على كل مسلم قادر على المستوى الرسمي المؤسساتي، أو المستوى الفردي بالممكن المستطاع.

* لأن الانتصار للإمارة الإسلامية انتصارٌ لمعركة المبادئ والحق الأصيل في مواجهة معركة المصالح التي أذيبت في ساحاتها كل قيمة ومبدأ. وما معركة الاعتراف بالإمارة الإسلامية إلا خلاصة هذه المعركة الكبيرة التي تجاهد فيها المبادئ غزو القيم الأرضية والمصالح الذاتية على حساب كل حق أصيل. للإمارة الإسلامية الحق في نيل الاعتراف الذي لا تستجديه، وعلى المسلم أن يساهم في هذه المعركة بشتى السبل والوسائل، وقد أثبتت التجارب على المدى القريب والبعيد أن المسلمين قادرون على إمكانية التغيير وفرض غاياته، إذا عزموا عليه وقادوه بطرق منظمة ذات تأثير، فبذل الوسع في التخطيط والدعم حتم لازم لا يحل التخلي عنه، أو استبطاء توسله.

❋ لأن الانتصار للإمارة يمثل انتصارًا للمشروع الإسلامي في وجه الهيمنة الغربية الساعية لصياغة الجيل على أرضية الاستسلام وقبول الرضوخ والإيمان بالعجز التام عن التغيير، وكسرًا لحلقات سياسة الإفشال المتعمد. لم تحرر الإمارة الإسلامية ثرى أفغانستان فحسب؛ وإنما رفعت بالجلاء أغلال إصر العجز المضروب زمنًا على عقلية الجيل؛ وبددت معه غيوم الإيمان المغشوش المصنوع على يد الطغاة والمحتلين، القاضي بفرض المستحيل كجزء من فروض يوم المسلم، والتي كُبِّلت معه كل طاقة، وأُهدِرت معه كل مقدرات، واغتِيلت معه كل قدرات، فجاءت الإمارة ومعها الفتح للأرض والعقل، فكان الانتصار لها انتصارًا واجبًا وجزء من حسن العهد، وتمام الوفاء.

❋ لأن الانتصار لها يمثل بعثًا لليقين وتجديده في زمن الهزائم، فالتجربة ملهمة مثبتة، والساحات الجهادية رأت في نصر الإمارة رسالة تحقيق الوعد ويقين الوصول، فصنع الفتح ما لم تصنعه كل التقريرات والتوجيهات، وأن الفتح ممكن وقريب وإن تعاظمت قوة الباطل، فتعيّن الانتصار لها ردًا لجميل التثبيت المصوغ على أسنة الرماح، ومنابر التضحية والفداء.

❋ لأن الانتصار لها مساهمة في ترسيخ النظرة الشرعية الصحيحة لقضية سياسة الدول، وصياغة المنظومة المفاهمية الرشيدة، بتقديم نموذج رشيد في الحكم يمثل حالة اتزان بين الجفاء والغلو في المفاهيم. فهي "إمارة إسلامية" تحمل رسالة طهر الوسيلة، ونقاء الغاية في الحكم، والعدل والعفو والحفاظ على الأنفس والأعراض والأموال، عدل كلها، فهي ليست دولة مدنية تزاحم فيها الاجتهادات العقلية النصوص القطعية؛ وهي كذلك ليست دولة دينية بالمفهوم الكنسي المرتبط بتاريخ محاكم التفتيش، وتسلط الأباطرة على حريات الخلق بتشريع الهوى في قوالب النصوص العقلية المخترعة.

❋ لأن الانتصار لها انتصار لحقيقة النصر في زمن تسويق الوهم والخداع.

فقم ولا تنزل عن الجبل فلازالت المعركة قائمة، وخذ من الثغور ما تُحسن ويجب ولا تعتذر، فالعجز الحرام؛ حرامٌ صحبته.

❋ ❋ ❋

الإمارة الإسلامية، ورسائل الذكرى الأولى لاندحار الغزاة عن أفغانستان [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

في تصريح على لسان الملا عبد الغني برادر آخوند -حفظه الله-؛ نائب رئيس وزراء إمارة أفغانستان الإسلامية للشؤون الاقتصادية؛ وفيه: "المجتمع الدولي لم يبنِ بلادنا؛ بل قام بتدمير أكثره، ونحن الآن نقوم ببناء بلادنا بأنفسنا. إننا لا نرفض المساعدة من أحد، بل ونشكرهم على ذلك، لكننا لا نمد يد الذل والفقر لأحد، لأن بلادنا غنية بثروات طبيعية قلّ أن يوجد لها مثيل في العالم، وإننا -بفضل الله- سنحل جميع مشاكل مواطنينا. وإنني أنادي من هذا المقام جميع المسؤولين بأن يقدموا مصالح الشعب على مصالحهم الشخصية، وأن يسعوا قدر الإمكان في حل مشاكلهم" ا.هـ

جاء التصريح بهذه اللغة الصادقة؛ خافضة الجناح للأفغانيين؛ ملؤها عميق النظر، وواسع الإعذار، وشرح الواقع بأيسر عبارة وأوضح تركيب، قد حمل معه رسائل تجلية الحقيقة وبرهان التمايز بين أهداف الغزاة، وغايات الفاتحين. لعل التصريح جاء في وقته ونحن على أعتاب الذكرى الأولى لهزيمة الغزاة، وانكسار حملات الغزو الغربي على البلد الطيب أفغانستان، نتلمس في الذكرى رسائل الإمارة الإسلامية -حفظها الله- بعد عام من التمكين، وإعلان الانتصار المبارك على حشود الغزاة وعلى لسان زعمائه أولًا في قلعة الغطرسة "البيت الأبيض"، بعد مسيرة العشرين سنة من الجهاد والنزاع، والمقاومة والقراع، وعلو الإمارة على مشاريع الغزو المنهج العسكري والسياسي والثقافي والاقتصادي.

إن من أبرز رسائل هذه المدرسة المباركة، والتي تمثل منهاجا يُربى عليه الجيل، ويُتلمسُ آثاره في مسيرة الجهاد، والبحث عن سبل التحرير والتمكين:

*** الرسالة الأولى: إخلاص النية لله والمصابرة على الطريق.**

لقد خاضت الإمارة جهادها المبارك ضد جحافل الغزاة على تنوع ألسنتهم وأشكالهم، وكُتب له النصر والغلبة والتمكين؛ لشريف ما حملت من غايات، وخالص ما حَوَت من نيّات، فلم تقاتل لغير الله، ولم تنتصر لغير دين الله تعالى، ولم تتحمل إلا لله، سلاحها الأساس: يقينها بصدق الطريق وصوابية السبيل، وزادها فيه: إخلاص النية لله وحده، ووقودها فيه: صبر على لأوائه،

---

(1) نُشرِ في مجلة الصمود، العدد 199 (محرم 1444هـ - أغسطس 2022م).

ومصابرة على مرّه، ومرابطة على حبس النفس فيه من غير تبديل، فخاضت مع الغزاة معركة الصبر فكان سلاحها الاستراتيجي، تقاتل في الميدان صبرًا، ويتلقى عدوها القتل قهرًا، تراهن على قلة تحمله، ونفاد صبره، حتى كان لها ما أرادت، فكَبَتَ الله عدوه إذ يقاتل في سبيل الشيطان، ونصر الله جنده إذ يخلصون في جهادهم لله وحده.

*** الرسالة الثانية: صدق التوكل وملازمة الإعداد.**

إن من دلائل التوفيق في مقارعة الغزاة، ومحاربة احتلالهم، توكل الإمارة الإسلامية –حفظها الله– على الله تعالى، باتخاذ الأسباب الشرعية المبلغة غاية النصر، المتمثلة: بالإعداد توكلًا، فلم تركن لراحة، ولم تستجب لدعة، ولم تعرف ميلًا لشهوة، ولم تستجب لدعوة تخذيل، إنما توسلت لبلوغ الغاية الشريفة السبيل الطاهرة توكلًا على الله، ملبية نداء الحق استسلامًا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" [الأنفال: 60]، يتلمّسون وعد الله بالإحاطة ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59]، فكتب الله لهم النصر إذ أحسنوا التوكل عليه، فلم يتركوا سلاحهم، ولم يغفلوا عن معركة الإعداد ومواكبتها لتطور الميدان ولوازمه.

*** الرسالة الثالثة: جهاد واعٍ جمع بين وضوح الراية وسلامة الوسيلة وشريف الهدف.**

لم يكن الجهاد الأفغاني جهادًا مرتبطًا بإجرام، أو طالبًا لمغانم أرضية، أو ساعيًا بإفساد، أو ارتجاليًا جاء كردة فعل فحمل معاني الانتقام، إنما جاء الجهاد الأفغاني المبارك يحمل رسالة إسلامية سامية جمعت بين: طهر الوسيلة، وشرعي الغاية، وسلامة القصد، وشريف السلاح، ووضوح الهدف، فلم يتطلخ بدمٍ معصوم، ولم يسعَ لانتقام، ولم يتشوّف لإراقة الدماء البريئة، ولم يكن قاطعَ طريق. رسالته في ذلك: نحن بقية القرون الأولى لا همّ لنا إلا تحرير الإنسان من أغلال الاستعباد الغربي، ورفع يده عن مقدّرات البلاد، وتعبيد الخلق لله، ليكونوا أحرارًا على أرضهم، كرامًا تحت سمائها، ينعمون بظلال حكم الشريعة، يرفعون لواءها. فانتصرت الإمارة في معركة المبادئ، كما انتصرت في معركة قعقعة السلاح، فكانت رسالتها للجيل: الجهاد ذو رسالة سامية، نقية طاهرة، لن يعكر طهرها غارات التشويه، ولن يحجب حقيقتها غرابيل الكذب والافتراء، ولن يوقف مسيرتها نحو التمكين صرخات

التخذيل والإرجاف.

*** الرسالة الرابعة: لا رأي للحق الضعيف ولا صدى، والرأي رأي القاهر الغلاب.**

في ذكرى هزيمة التحالف، أثبتت الوقائع أن قادة الإمارة الإسلامية -حفظها الله- قد حطّموا منظومة التصور السطحي عنهم، فلم يكونوا مجرد ثائرين تقودهم عاطفة التخلص من ذخيرة السلاح للتنفيس النفسي، وإنما كانوا قادة ميدان بارعين مذهلين فيه كما برعوا في ميادين الحكم والسياسة.

سعت الإمارة لمنع الغزو ورفضت مبرراته، وضيّقت على الغزاة مضائق تشريعه، فلما تعيّنت وقائعه، خاضت الإمارة الإسلامية معركة المصير مع الغزاة وخاطبته باللغة التي يفهم، فاستنزلته ميادين مدروسة، وصادمت إرهابه بالإرهاب، فاستنزفت قوته، وبدّدت ماله، وهزت اقتصاده، حتى فرضت عليه شروط النصر وأجبرته على تلاوة بيان الهزيمة النكراء.

في رسالة التعليم للجيل وطلاب الحق: أن الرأي رأي القاهر الغلاب، ولا عدل إلا إذا تعادلت القوة؛ وتصادم الإرهاب بالإرهاب.

*** الرسالة الخامسة: لا يضيع حق تحميه قوة وتسعى إليه رماح المجاهدين.**

عوّلت مَكّنَةُ الغزو الأجنبي على أفغانستان على تمييع الحق الأفغاني في الحرية والخلاص، وأن الغزاة قوة لا يمكن قهرها، وأنها تمارس الوصاية القاهرة بحد السلاح، وأن الحقوق الأفغانية هي التي تجود بها المنظومة الأمريكية، وأن الأظافر الأفغانية غدت ناعمة لا قوة فيها يمكن أن تمنع التغول الأجنبي على الدين والثقافة والمقدرات، فقابلت الإمارة الإسلامية صلف الغزاة بالثبات، ومقارعته -عسكريًا وثقافيًا وسياسيًا- صباح مساء، وعلى كل ذرة تراب، فنالت منه في مواقع كثيرة، وقهرت كِبره في نوازل كثيرة، وأجبرته على إعادة الحسابات، ومراجعة التقديرات، انتهاءً بترك البلاد وإنزال العلم الاحتلالي، والتسليم لقوة السلاح المؤمن الطامس زيف التغريب، الكانس زبالات المسارعين فيهم، فعاد الحق إلى نصابه، وصوّبت رماح المجاهدين مسيرة التغيير، وردتها لأصالة نبعها المستمد من الكتاب والسنة، وحرّرت العقول من خرافة زخرف الثقافة الغربية، واحتضنت الأرض أبناءها، وسيّج حمى حقها قوةُ الحق، ورسالةُ العدل.

*** الرسالة السادسة: ضريبة العز أهون من ضريبة الذل.**

عام على إعلان هزيمة الغزاة على أفغانستان، حمل معه رسالة القاعدة الربانية، والسنة الإلهية المطردة التي لا تتغير ولا تتبدل ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 104]، فقد ذهب ظمأ الإذلال، وثبت أجر الغلبة، ودارت على الباغي دائرة القصاص، ففاز أولياء الله، وهُزِم أعداء الله، وباء المسارعون فيه بالخيبة، فلم يكن بين الغزو واندحاره إلا ساعة الصبر على ضريبة العز، فرارًا من قهر أبدي لضريبة الذل، فليسوا سواءً، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا استجابة لنداء الحق، فكانت ميتته شهادة، وسجنه محطة إعداد واستراحة مقاتل، فكُتب أجره على كل حاله، وبين من سعى في الغزاة لهثًا خلف لعاعات الدنيا، فانتهى به المطاف قتيلًا لشهوته، أو أسيرًا لمطامعه، فلم يُصب ما تمنى، ولا حاز ما كان يؤمّل، حتى اجتاحته قوافل العز، فتوشح وشاح الذل والهزيمة. ليس الذي يقاتل طمعًا في تثبيت أركان الهوية الإسلامية -وإن لقي في سبيلها ما لاقى حمزة بن عبد المطلب- كالذي ارتضى أن يستجيب لنداءات سلخ الشعب الأفغاني عن دينه وهويته وامتطى لذلك أُتُون الطمع على ذلة.

مضت المطامع واندحر الغزاة وباء المجاهدون بالعز على قمم الحق، ولم يرجع القاعدون والمسارعون في الغزاة إلا بحسرة فوات المشاركة في هذه المسيرة الجهادية المباركة استثقالًا لضريبة العز، وطمعًا في الأدنى على ذل.

*** الرسالة السابعة: جهاد ملؤه الرحمة والعفو.**

وضعت الحرب العسكرية أوزارها، وبسطت الإمارة الإسلامية -حفظها الله- نفوذها واستقرّ لها الأمر، فخاضت معركة نشر هضم الحق على عتبات التسامح والعفو والصفح الجميل، ورفعت لواء المنهج الربّاني القويم، فلم تنتصر لذاتها المهضومة المضطهدة على مقصلة الغزاة وأعوانهم مسيرة عشرين سنة من الاحتلال، فصفحت وعفت، وفتحت يدها لكل راغب في المشاركة في مسيرة البناء، ودعت المخالف لكلمة سواء قوامها: تغليب مصالح الشعب الأفغاني على كل مصلحة شخصية، فاستقبلت وفود العائدين من الوزراء السابقين بل والضباط الذين شاركوا في محاربة الإمارة إبان الغزو الأجنبي على البلاد، والتحقيق مع قادتها، في رسالة سامية تعلو بها الرحمة والعفو على معاني الانتقام والتشفي الضيّقة، فلم تعرف الإمارة -بعد الفتح المبين- للتنكيل أو القهر، أو التسلط سبيلًا، كأنها برسالة العفو والصفح والرحمة كتاب مفتوح ممهور بوسم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم، وهذه

بلدكم تحتاج كل طاقة لاستكمال مسيرة البناء على قاعدة من رحمة القادر، وعفو المتمكن، فلم يكن الجهاد الأول إلا طريقًا لتحرير النفوس قبل تحرير الأرض، ولم تكن الإمارة لتستعبد رعيتها وخاصة شأنها.

*** الرسالة الثامنة: سياسة لا تتنازل عن الثوابت، ولا تعاند الواقع.**

ضربت الإمارة الإسلامية أروع الأمثلة السياسية في التعامل مع الواقع معاملة متزنة من غير طغيان جانب المصالح غير المعتبرة أو إهمال الواقع ومعاندة اضطراباته. فوازنت الإمارة الإسلامية بين المؤمَّل والممكن المتاح، فلم تفرّط في الثوابت، ولم تركن لضغط الواقع، ولم تأبه بالضغوطات الساعية للمقايضة على حساب المبادئ والأصول الثابتة التي لا تقبل المقابلة بغيرها. كما أنها كانت واقعية في سياساتها فلم تسرح في فضاءات الخطط غير الواقعية، ولم تعاند الواقع معاندة غير الخبير بسياساته وتحالفاته وتقاطع مصالحه. أتقنت الإمارة إدارة الملفات السياسية الداخلية والخارجية، وفوّتت فرص الوقيعة بين مكوّنات الشعب الأفغاني على أساس عرقي أو طائفي، فأعطت كل ذي حق حقه في حدود الأطُر المسموح بها في الشريعة الإسلامية، وهي مع ذلك لم تُغفِل قضايا الأمة الإسلامية فسجّلت حضورًا قويًا، وهي تعرّف عن نفسها كجزء مؤثر في المنظومة الدولية لها سياساتها الواضحة ومفارقاتها الجلية، فلم تختلط السبل، ولم تطغَ جَلَبَة الباطل على خصوصية القرار الأفغاني وتميزه، فاستعلت الإمارة الإسلامية بهويتها، ولم تستفزها جولات النصر لإغفال عميق النظر للواقع وسياساته.

*** الرسالة التاسعة: نظافة يد، ودعوة إيثار.**

بعد عام من هزيمة المحتل واندحاره، خاضت الإمارة الإسلامية معركة بناء الإنسان والوطن، وتجشمت عناء إدارة بقايا الاقتصاد المنهوب المسلوب، رغم شح الإمكانات، والحصار المضروب على الاقتصاد الأفغاني، وتجميد الأصول الأفغانية في البنك الدولي استجابة للدعوات الغربية المبتزة للإمارة الإسلامية طمعًا في الترويض وشراء المواقف، فحملت الإمارة الإسلامية أمانة انتشال الشعب الأفغاني من وحل الفقر، وفكّت عنه أغلال الإغراق في وحل سياسة تغييب العقل، وتحرّكت آلة البناء، وشق المشاريع، فاستثمرت المتاح من الإمكانات والثروات الطبيعية، وردت المال المسلوب لخزائن الإمارة كرصيد للشعب الأفغاني، وقدمته في العطية، وهي في كل ذلك لم تخصّ نفسها ومجاهديها -الذين تحملوا ويلات الحروب وسياسة الإقصاء والملاحقة- بشيء

عن الشعب الأفغاني، فلم يتمايز أمراؤها عن الناس باستئثار شيء مخصوص، بل إنك لا تكاد تميز الأمراء عن الناس في مجالسهم، ولم توصد الأبواب دون مظالم الناس وسماع همومهم، فأقامت في الناس سيرة العدل على الكبير والصغير، والمسؤول والعامي، فكانت إمارة حق وعدل.

الإمارة الإسلامية مدرسة تستحق الدراسة قبل الإشادة، فقد مثلت الصعب في عالم المستحيل، وقدّمت أنموذجًا رائعًا في الحكم والسياسة، وحافظت مع ذلك كله على شريف الغاية، وطهارة الوسيلة، فجزى الله أميرها عن المسلمين خيرًا، ووفقه وإمارته لما فيه خير البلاد والعباد. والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

استهداف العلماء والبُعد الحقيقي للجريمة [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

لقد استشهد الله العلماء على أعظم مُشهد عليه وهو توحيده سبحانه، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]؛ وذلك لعظيم المكانة التي حازها العلماء في شريعة الرحمن، فهم من شعائر الله واجبة الحفظ والتعظيم، وهم الموقعون عن الله رب العالمين، يأخذون الناس إلى حيث مراضي الله تعالى، ويقيمون بهم صروح الدين العظيم، ويمضون بهم إلى حيث لواء الشريعة النقي عن كل دَخَن وخلل، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، قَالَ -ﷺ-: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ) [أخرجه البيهقي، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح: 1/53 ح248]. فالعلماء الربانيون صمام أمان الأمة، وهم مصدر أمانِها وأمنِها، وهم دليل استقامتها إلى حيث سبيل الهداية، وهم لبِنَات بِنائها، وقواعد ثباته، يُقيمون في الجيل الكتاب والسنة، ويربونه التربية الإيمانية الجهادية، ويقوّمون فيه الرأي ثباتًا على صحيح الإيمان وكريم الأخلاق، فلم يكن غريبًا حيازتهم هذه المكانة في الشريعة الإسلامية، وانعكاسها على سياسة الأمراء واختياراتهم.

ولذا كان العلماء -على الدوام- محط استهداف غارات التغريب والبدعة القبيحة، وذلك لأن سورهم أمتن الأسوار وأعلاها وأصلبها؛ وانهياره أو ضعفه أو خرقه -عياذًا بالله- له مآلات خطيرة على استقرار البيئة الإيمانية، وكشف ظهرها، وتجرئة الخصوم عليها، وعبث المبتدعة بها. ولم يجد الأعداء على طول مسيرة التاريخ الإسلامي مطيةً أقنع وأنفع وأجدى لتمرير مخططاتهم الخبيثة من ظهور أهل البدع، ولم يجد رؤوس المبتدعة والمنافقون طريقةً أكبر شرًا، وأعظم ضُرًا من استهداف العلماء اغتيالًا، واستحلال دمهم ضلالًا. فلم يكن مستهجنًا أو مستبعدًا أن تتجه قوافل الاستهداف المنظم من أعداء الأمة لعلماء الإمارة الإسلامية – أعزها الله- طمعاً من المارقة والبغاة والكفرة أن يحدث فراغُ غيابهم حالةً من الفوضى السانحة لتمرير المخططات الغربية باستنزاف أفغانستان وإشغالها عن رسالتها السامية في إرساء العدل وإقامة

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 201-202 (ربيع الأول/ربيع الثاني 1444هـ - نوفمبر 2022م).

الشريعة، وإثبات الذات بقدرة المسلم المجاهد على إقامة صروح الإمارة الإسلامية، واستغنائها عن الغزاة، وتحقيق استقرار أمني واقتصادي تتهاوى معه مطامع الغزاة المهزومين، وتغور معه تطلعات المارقين والبغاة المأجورين، وتنتشر معها دعوات الخرافة، ومطامع التقسيم.

فحَسَمَت أمريكا أمرها باستهداف الإمارة الإسلامية، ومحاربتها -بوضاعة شرسة- عبر وكلائها في المنطقة، فصادرت أموال الإمارة، وفرضت عليها حصارًا اقتصاديا ظالمًا؛ طمعًا في تثوير الشعب الأفغاني المسلم على أمرائه الذين بذلوا كل غالٍ ونفيس لحمايته، وصيانة حقه. سبقتها الإمارة الإسلامية –توفيقًا من الله- بخطوة فعاشت آلام الناس، ولم تتمايز عنهم، وأظهرت لهم إخلاصًا منقطع النظير في بياض اليد وعفتها، وتسارع العلماء للبيعة والمباركة، والنصرة والتأييد. ولما كانت دولة الإسلام عميقة في النفس الأفغانية كعمق الدولة المأجورة في البلاد المسلوبة، كان لابد من استهداف هذه الدولة العميقة واستنزافها، فأمرت أمريكا أدواتها في المنطقة بوجوب التحرك، والوجهة: "بوابة العلماء"، ففي الإقليم المتمرد "بنجشير" تحرك المأجورون لافتعال حالة من فوضى السلاح تأتي على الآمنين، وتستهدف العلماء الربانيين، فيما اختار الخوارج الأهداف الأسهل؛ فقاموا بسلسلة تفجيرات تهدف إلى اغتيال العلماء في المساجد، دون التفات لحرمتها أو حرمة الدم المسلم الحرام.

وقد أشارت كثير من التقارير الاستخباراتية أن هذا الحلف تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وتذكي ناره، ومرحلته الأولى: استهداف العلماء، لأن حقيقة الحرب الخفية الآن مع الغرب في أفغانستان قاعدتها: استهداف منظومة التلقي لدى الإنسان الأفغاني، والتي تحافظ على صبغته الإيمانية والأخلاقية، ولا يحصل هذا بغير ضرب صمام الأمان المتمثل بالعلماء الربانيين، فبهم تُحفظ الملة، وتُصان المنظومة الأخلاقية، وتُعزز القيم الأفغانية الأصيلة الرافضة للأعراف الدخيلة، وتنتهي عند حدودهم حملات السلخ الممنهج للمنظومة الغربية الساقطة.

إن الإمارة الإسلامية –أعزها الله- قد استجابت لأمر الله بالجهاد وإقامة الشريعة بعد التمكين، وظننا بالله –تعالى- أن ينصرها، وأن يرد عنها كيد الإجرام الذي تديره أمريكا وينفذ أجنداته الخوارج وعملاء الغرب مجتمعين.
قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47)﴾ [إبراهيم: 46،47].

رحم الله شهداء الإمارة الإسلامية من العلماء الربانيين، وأعلى درجتهم، وبلغهم الفردوس الأعلى من الجنة، وأعظم الله أجرنا في مصابنا فيهم، وأخلف الله الشعب الأفغاني والأمة الإسلامية خيرًا منهم، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

الإمارة الإسلامية وقطعة الشطرنج الدولية (1)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

لا يخفى على عاقل مستبصر بنور الحق، أن العالم يخوض معركة لا أخلاقية يتولى سياساتها القذرة أقطاب الشر في العالم ويتقاسمون -بموجب منطق القوة اللا أخلاقية والسياسة غير الشريفة- النفوذ على بلاد المسلمين عبر الاحتلال العسكري المباشر، أو من خلال الاحتلال الناعم القائم على مصادرة إرادة الشعوب من خلال تسليط أصنام على مقدرات الأمة الإسلامية كشرطي بِسَوطٍ غليظ يجلد ظهر المسلم ويتخذه سُخرة في أسوأ نموذج استعباد واسترقاق في القرن الحديث، في بلد عزيز غني بالمقدرات، تؤدي هذه الأصنام الأوامر في دور وظيفي مدفوع الثمن على قطعة شطرنج يحرك فيها الأشرار أصنام بيادقهم بما يحقق سياستهم في التسلية القائمة على سرقة المقدرات، وقتل القدرات، ومصادرة الإرادات، وتشويه الحضارات.

حتى في حالة الاستيقاظة الطبيعية المتأخرة التي مثلتها الشعوب المقهورة في الربيع العربي، استنهضت لها قوى الشر أركان الغرس القديم الذي تمثله الدولة العميقة، واستدارت على إرادة الشعوب المسلمة ورَدّتها سريعًا لحظيرة الاسترقاق والاستعباد لتكمل مسيرة اللعب على قطعة الشطرنج من غير مفاجآت مقلقة.

ولما كان دين الله تعالى لا يُغالب، والدعوة ربما يَمرَضُ دُعاتها، أو يُحاصَرون، أو يُضيَّق عليهم، أو تضيق بهم ذرعًا جَلَبَات السجون الموحشة، أو يُعلَّقون على أعواد المشانق زرافات في مجازر لا تمت للإنسانية بصِلة، لكن الدعوة -مع ذلك- لا يمكن أن تموت وهي تمثل عمقًا جذريا في النفوس المسلمة عامة، والمجاهدة خاصة، فانتفضت الإرادة وجالدت الدعوة الإسلامية الغزاة في ساحات عدة مباركة، وأُنهِك العدو في بعضها، وهُزم شر هزيمة في أخرى، فارتبكت قطعة الشطرنج، وماجت البيادق بأيدي الغزاة، واستدعى الأشرار المكر المتين، والحقد الدفين، لاحتواء مشهد الانعتاق القسري من رِبقة الاستعباد المضروب، وضمان استمرار السياسة الظالمة الضبعية، فتألّبت على الدعوة جموعُ الشر من كل نِحلة ومِلة قاصدين الإفشال والتقويض لكل جهاد يسعى للانعتاق من رِبقة المنظومة القطبية التي لا ترى في المسلم إلا مجرد عبد رقيق مستحيل أن يرى للعتق سبيلًا مكينًا آمنا من الشر.

---

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 203 (جمادى الأولى 1444هـ - ديسمبر 2022م).

فكان من المكر أن طولبت الدعوة الإسلامية بعد هزيمتها منظومة الاستعباد عسكريًا مرة وإلى غير رجعة بوجوب احترام الإرادة الدولية القائمة أصلًا على محاربة المسلم، ومصادرة إرادته، ومنعه من حرية تقرير مصيره، وقيّدت شروط الاعتراف السياسي بالكيانات المسلمة وعلى رأسها الإمارة الإسلامية في أفغانستان -حفظها الله ورعاها- بسلسلة اتفاقات دولية؛ ظاهرها عبارات برّاقة وباطنها قوانين وضعية ظالمة على غير هدى. قواسمها المشتركة: تبعية عمياء تحرِم بمقتضاها الشعوب المسلمة من حرية تقرير مصيرها، وتمنع الإمارة الإسلامية من امتلاك مقوّمات القيام والاستمرار حتى لا تمثل حالة مُلهِمة للشعوب الثائرة بإمكانية اللعب خارج قطعة الشطرنج بلاعبيها الدوليين، فما لا تدركه الدبابات يحاولون تحصيله عبر التجويع أو العزلة السياسية التي تمثل أكبر معيق نحو التمثيل النِدّي الطبيعي للإمارة الإسلامية الناشئة، فعانت الإمارة الإسلامية -حفظها الله- من هذه السياسة ولازالت معها في مجالدة ومصابرة، تسعى لكسر العزلة السياسية، وتحريك المياه الراكدة للجمود السياسي، يشاطرها في ذلك كثير من الأحرار وإن تخلفت عن مساندتها الأنظمة الرسمية.

فكُتِب على الإمارة الإسلامية قدرًا خوض معركة كسر العزلة السياسية المفروضة عليها وما يتبعها من هجوم شرس بأدوات إعلامية رسمية موازية، وخارجية حاقدة، وباغية ناقمة، فأخذت على عاتقها خوض غمار تشويه كل صورة مشرقة تمثل أصالة الأعراف وعادات الشعب الأفغاني الكريم تحت قيادة الإمارة الإسلامية، بل والتحريض على منظومتها الإسلامية الحاكمة، واتخذت لذلك ذرائع شتى غير حاضرة على الحقيقة ولا شاهد عليها في الواقع؛ كذريعة: احترام حقوق الإنسان، والدفاع عن حقوق المرأة، وملف الأقليات الأفغانية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وحرية التعبير، ولعل آخرها وليس بآخر ما جاء من تصريح على لسان مقرر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان والذي أعلن فيه: "أن ما تتعرض له المرأة في أفغانستان يرقى لجريمة حرب" ا.هـ، رغم عدم صحة التقارير المرفقة وافتقارها لأدنى درجات التحقق، بل والواقع يكذّب كل تلك الدعاوى المغرضة، التي تسعى من خلالها منظومة الفساد الدولي ابتزاز الإمارة الإسلامية للتنازل عن بعض مبادئها الأصيلة.

فيما تولى الخوارج قيادة الحملات الإعلامية المشككة في ولاء الإمارة وقيادتها، ورميها بفِرى الكفر والردة والانسلاخ من الدين، وتحركوا بتلك الدعاوى الكاذبة يدفعهم جهل التأصيل، وضحالة الفهم، وعمالة مكشوفة، لإحداث حالة من عدم الأمن، عبر سلسلة تخريب وتأليب وتنفير الحاضنة.

فتعيّن على الإمارة الإسلامية -حفظها الله- فَهْم أسُس لُعبة قطعة الشطرنج، وكسر قوانين إلزاماتها من غير قلب القطعة واستعداء الغزاة الجدد باللباس الدبلوماسي، فتتجنب المواجهة وتحيّد بعض الخصوم، وتحدث خرقًا في المنظومة الدولية بهدوء في اتجاه كسر العزلة من غير تعدٍّ على حمى الثوابت الشرعية، فخاضت الإمارة الإسلامية بإزاء معركة كسر العزلة السياسية معركة الوعي وتحصين الجيل من حملات التشويه والإسقاط والتخوين والتكفير والتخذيل التي تولى كبرها الخوارج والبغاة.

فأقامت الإمارة الإسلامية علاقات متوازنة مع أنظمة إسلامية وعربية ودولية لتحقيق انفراجة في المسار السياسي وهي تدرك أنها تواجه قوى الشر بحصانات مانعة من المساءلة أو المراجعة، وتولى علماء الإمارة الإسلامية -حفظهم الله- إدارة دفة هذه المرحلة الحساسة من العمل السياسي، وهم يدركون تمامًا أن مسائل السياسة الشرعية لا تُقاس بالعواطف، وتحتاج لميزان دقيق يحافظ على الإنجاز التاريخي المتمثل بكنس الغزو العسكري وآثاره على الشعب الأفغاني، ولا تفقد زمام المبادرة في الميدان السياسي الأهم، وأنه لا ارتباط بين دقيق اختياراتها في زحمة المفاسد المتراكمة بما يحقق المصلحة الأفغانية وما يتقاطع مع ضدها من مفاسد في غير محيط الإمارة الإسلامية كمرحلة من مراحل البناء، وهم يدركون في الوقت نفسه أن لا ثبات في السياسة إلا الموازنة الشرعية الرافعة والمقدمة للمصالح الشرعية -وإن ضعفت- التي يقدرها العلماء العاملون الملامسون للواقع الأفغاني بممكنه لا بمأموله.

وأنه على الحقيقة كما بيّن العلماء: "ليس كل سبب نال به الإنسان حاجته يكون مشروعًا بل ولا مباحًا، وإنما يكون مشروعًا إذا غلبت مصلحته مفسدته"، وأن القطعي في باب السياسة قليل نادر، وأغلب النصوص المتعلقة بالسياسة الشرعية هي عبارة عن قواعد عامة لابد لها من صحيح نظر لتطبيقها على الاختيارات السياسية المفروضة، فالاجتهاد السياسي لابد له من: معرفة أحكام الشريعة وأصولها، ومعها معرفة الواقع بتعقيداته، ومن ثَمَّ تنزيل أحدهما على الآخر، ولا توجد مصلحة في العادة عارية عن المفسدة جملة، فإذا غلبت المصلحة فلا اعتبار بالندور من المفاسد في انخرامها.

لازالت الإمارة الإسلامية -حفظها الله- مع ذلك كله تسدد وتقارب وترى بنور البصيرة العالم وسياسة إدارته، وتعلم أن كثيرًا من الخير هو من بوابة الشر، وأن الفقه في الواقع واستلهام بعض الدروس يحتم على الإمارة مراعاة استلهام دروس قطعة الشطرنج وتفادي سياستها التي تكيل بمكيالين لا قلب الطاولة ببيادقها.

مطلوب من الإمارة خوض كل تلك المعارك بيقظة تامة من غير غفلة، ومطلوب من عموم المسلمين أن يشكلوا حالة من الضغط المجتمعي لتيسير سبل كسر العزلة المضروبة على الشعب الأبي، ومطلوب من أهل العلم أن يناصحوا الطلبة مناصحة النصرة الواجبة وحماية الظهر، فالإمارة قد أشرعت أشرعة سفنها نحو الحق، والمغبون من لم يساهم في دعم المسيرة المباركة.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

تعليم المرأة الأفغانية بين الضرورة الشرعية والمزاودة العبثية [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

إن الشريعة الإسلامية جاءت بمقاصد هي من جملة المعاني والحِكم والغايات الموضوعة لتحقيق مصالح العباد، وهي ملحوظة في الحِكم الشرعية الجزئية، أو المصالح الكُلية، والتي تقود العباد لغاية سامية نبيلة شريفة: هي تقرير العبودية الله –تعالى- وتحقيق المصلحة المرعيّة للعباد.

المقاصد التي تراعي الكُليّات المقاصدية الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وجعلتها متكاملة مترابطة، يُقدَّم فيها كليُّ الدين، وتُرد كل المقاصد إليه عند التعارض، إذ لا خلاف –عند التحقيق- أن الدين قيّم على كل مصلحة ومهيمن عليها، ومن قدم ضروريًا على ضروري الدين في حالة ضرورة كما في إكراه النفس على كلمة الكفر سلامة للحياة، فمرد حفظ النفس وقتها لحفظ الدين وديمومة الدعوة القائمة على النفس البشرية، فكل الكليّات راجعة لكليّ الدين.

وإنه مما لاشك فيه، أن حفظ العقل بالتعليم ونبذ الخرافة ومقاومة الجهل؛ ركنٌ من أركان مقاصد الشريعة، وضرورة من ضروراته المقصودة، وأنها مطلوبة على جهة التعيين والتأكيد من ولاة أمور المسلمين، بما يحقق التكامل الصحيح بين العيني منه والكفائي بما يضمن استقرار الحياة.

ليبقى تحقيق هذه المقاصد متكاملًا في حياة الناس هو وظيفة العلماء الربانيين في البيئة المقصودة، من غير اطّراد حكم عام في كل بيئة، مراعاة لاختلاف البيئات، وقد دلت قواعد العلم الثابتة أن الفتوى تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعادات والأعراف.

وإن كان هذا على سبيل رفع الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه مما يُعلم يقينًا أن الشريعة الغراء التي تراعي أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فهو عند تعارض الضروري من المقاصد الكلية مع كلي ّ الدين لا شك أنه أوجب بالمراعاة والفهم والإدراك الصحيح. فالشريعة يقينًا لا تقدم كليًا على كلي الدين، لاسيما بما يعود عليه بإبطالٍ أو تعطيل، فالفرع إذا عاد على الأصل بالإبطال كان باطلًا غير معتبر، إذ كل اجتهاد خرج عن المصلحة إلى المفسدة،

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 204 (جمادى الآخرة 1444هـ - يناير 2023م).

وعن الحكمة إلى العبث؛ فليس من الشريعة في شيء وإن أُدخل فيها بالتأويل، كيف إذا كان مستند التأويل تقديم العقل على النص، ومحاكمة الكلي إلى الوهم والاستحسان العقلي المعارض للدليل.

في إعلان وزارة التعليم العالي التابعة للإمارة الإسلامية -حفظها الله- قررت الوزارة تعطيل الدوام الجامعي "المؤقت" للطالبات، وعزت ذلك الإجراء "المؤقت" لحين توفر البيئة المناسبة لتعليم الطالبات بما يحفظ عليهن دينهن وحشمتهن، وتقديم المنهج المناسب الذي يراعي خصوصيات المرأة الأفغانية، الخالص من شوائب وكدر الغزو الأجنبي للتعليم الأفغاني على مدى سنوات الغزو للبلاد.

وبيّنت الإمارة -حفظها الله- أن الإجراء "مؤقت"، وأنها تعمل على تعجيل انتظام الدراسة للطالبات وفق المحددات الشرعية التي تراعي كليّ الدين، ولا تهمل ضروري حفظ العقل المتمثل بوجوب توفير بيئة التعليم الشرعية المناسبة للمرأة الأفغانية.

تلقّت الوسائل الإعلامية والرقمية الإعلان، فتهارجت أقلام، وماج مِداد، ونفثت حروف الشر، وتعجّلت حسابات محسوبة على العمل الإسلامي وبعض المفكرين، وعاش أكثرهم حالةً من التماهي مع الرواية المنقولة من غير تثبّت، أو فهم حال الإعلان على الصورة الصحيحة.

والحال أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأن فهم واقع القرار ركن التوفيق في بناء الحكم الصحيح، وأن كثيرًا من المنتقدين لم يكلّف نفسه عناء السؤال عن حيثيات القرار، رغم الإعلان الصريح أنه على جهة التأقيت لا الدوام.

وأنه في ساحة العمل الإسلامي قد يعرض للاجتهاد الشرعي عامة والسياسي على جهة الخصوص ما لا يمكن الاطلاع عليه إلا دوائر ضيقة، وأن هذا الجزء الخفي الخاص هو المؤثر في آليات الترجيح بين المصالح والمفاسد، وأنه يتعين على المسلم والحالة هذه أن يغلّب جانب حسن الظن في العاملين، وأن يلتمس لهم المعاذير، لا أن يتخذ من اجتهاده المفتقر لتام النظر مادة تشهير وتسفيه وإسقاط ومزاودة.

فأهل مكة أدرى بشعاب التوفيق لإصابة الهدى بدليله، لاسيما والإمارة قد خرجت من بين فرث الاحتلال البغيض، ودم المتآمرين الساعين لإسقاطها وتشويه انطلاقتها، وهي التي لازالت في مرحلة الجهاد للتخلص من آثار الغزو على البلاد والذي طال كل مناحي الحياة الأفغانية، وعبث بقيمها وحضارتها، وهم في أوج معركة البناء والتطوير.

ما يجعل تناول قضية تعليم المرأة الأفغانية بعيدًا عن تصور حيثيات القرار، أقرب للمزاودة العبثية، التي تمثل حلقة من حلقات محاولات الإسقاط الممنهج، طمعًا في تحقيق ما لم تحققه آلة الدمار العسكرية طيلة زمان الغزو لأفغانستان، استرضاءً للغرب، ومسارعةً في أدواته في المنطقة.

وإلا فما تعني محاولات صمّ الآذان عن البيان المفهم للقرار، وأخذه كاملًا من مصدره، والتباكي على المرأة الأفغانية المصونة، والتي بذلت الإمارة الإسلامية لصونها وحمايتها والدفاع عنها آلاف الشهداء والجرحى، ثم الإصغاء المهين لمكَنَة التضليل الغربية والتي كانت ولازالت إزاء قضايا الأمة المصيرية تكيل بمكيالين، نفاقًا بغيضًا، وإسفافًا مريضًا.

ولو كان الأمر منهجًا بريئًا، وطريقة خالصة من شوائب التمييز البغيض، لوجدنا حملات مقاربة لمناهضة الإرهاب المسكوت عنه والذي يتفاخر به العالم الظالم ويجعله في صفحات مذكراته دون وجل أو خوف، فأين اختفت هذه الأقلام؟؟ وأين غابت هذه الأصوات؟؟ في الوقت الذي يتفاخر فيه الأمير البريطاني هاري بقتله خمسة وعشرين من المدنيين الأفغان تسلية رخيصة، وهو يصفهم: "حجارة شطرنج كان لابد أن يموتوا"، ويجعل ذلك الإرهاب جزءًا من مذكراته المحفوظة!!

لو كان الأمر منهجًا بريئًا، وطريقة خالصة من شوائب التمييز البغيض، لوجدنا انتفاضة مماثلة –على الأقل– على الهندوس الذين حرموا المرأة المسلمة من حجابها ومنعوها من التعليم، ولاحقوها في ساحات الجامعة إرهابًا وترويعًا وهتكًا لسترها، فالمرأة الهندية هي أخت المرأة الأفغانية!!!

لو كان الأمر منهجًا بريئًا، وطريقة خالصة من شوائب التمييز البغيض، لوجدنا ثورة على لصوص مقدرات الشعب الأفغاني والتي يتم التحفظ عليها في أكبر وأوضح عملية سرقة عرفها الكون في زماننا، وهو المانع الأساس من تهيئة البيئة المناسبة للمرأة الأفغانية لتعليم يحفظ عليها دينها وسترها وعفتها!!!

ولو كان الغرب حريصًا على تعليم المرأة الأفغانية، ويحارب محاولات منعها من التعليم –رغم عدم وجودها– ويرى ذلك جزءًا من إنسانيته المغشوشة، فهل يكفل الغرب حرية الشعب الأفغاني في امتلاكه منظومة علمية تصل به لإتمام مشروع نووي ولو في المجال السلمي؟؟ قطعًا لا يكفل، ولن يكفل، ولو فعلت الإمارة ذلك لكان برنامجها هدفًا لمعركة أشد ضراوة، لن يتوانى فيها الغرب أن يقتل ملايين الطالبات الأفغانيات فقرًا أو قهرًا أو قصفًا للحيلولة دون المشروع النووي السلمي.

لكنها المزاودة العبثية، والإرهاب الممنهج، والتشويه المدروس، والإسقاط

الوضيع.

لئن كان الغرب لا يُلام في عدوانه، فغاية اللوم على المسلم الذي غابت عنه مسلّمات صحيح النظر، ثم جعل نفسه تِرسًا في عجلة الإسقاط.

غاية ما في إثارة قضية تعليم المرأة الأفغانية؛ هو سعي الغزاة وبيادقهم في جعل أدوات الغزو حية حاضرة عبر المناهج الموضوعة، والثقافة المفروضة، والأعراف المختلقة الغريبة، والذي يسعى من خلالها الغرب لاستنساخ النموذج النسوي الساقط وتطبيقه في أرض الإمارة الإسلامية -حفظها الله- وجعلها بوابة الاحتلال الناعم، ومادة تغييب الجيل المسلم.

لازالت الإمارة الإسلامية -حفظها الله- تؤكد على المؤكد الثابت؛ أن تعليم المرأة المسلمة جزء من مشروع البناء الكبير في أفغانستان، وأنها جزء فاعل عامل مهم في المجتمع الأفغاني، وأنها تسعى جاهدة دون توانٍ في توفير البيئة الشرعية المناسبة التي تضمن فيها للمرأة الأفغانية تعليمًا ضروريًا لا يعارض كليات الدين، أو يعود عليها إبطالًا أو نقصًا، فالقضية محسومة لا مجال فيها لمزاودة عبثية، أو استدراك لا محل له.

❊ ❊ ❊

عمالة بلباس حروري [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

في ميدان المدافعة على الأصول، ومنازلة الأفكار الدخيلة، ومحاربة دعاة الاختراع في الدين، لا يبقى للحيادية مكان، والناس على إثرها فسطاطان: فسطاطٌ ملؤه الإيمان والوعي وحسن التدبير، وفسطاطٌ ملؤه الدَخَن والعبث والشر المستطير.

فسطاطٌ يقود الجيل نحو تحقيق الغاية السامية، وفسطاطٌ يقود الجيل نحو البدعة الخبيثة، والتبعية المقيتة، وفي بعضها نحو المسارعة في الكفر على قاعدة الجهل أو الخبث المدروس والذي تقوده آلة الشر بأيدٍ حمقاء وعقول خرقاء.

وإنه مما لاشك أن الحوادث أنشأت لنا صنوفًا من الناس جاؤوا الشريعة بعقليات المستعمر على منبر من منابر العلم أو الدعوة أو الجهاد.

فاختلطت بكثير من الناس سبل التمييز، حتى عمّت الفتنة وطغت الشبهات ورَتَع في الهوى دهماء الناس على عاطفة غير منضبطة، أو مصلحة على قاعدة الهوى المستحكم، فعبث الطغاة بالجيل على أساس من الجهل أو الهوى، حتى صارت الآيات الشرعية، بالتأويل الفاسد والنظر الأعوج؛ متكأ الدخلاء وخبيث العملاء.

فبينما عبثت عقيدة الإرجاء بنصوص الشريعة تطويعًا ولَيًا لها موافقة لأهل الباطل، استسلم الخوارج لعبث الغزاة بعقولهم استسلامًا خبيثًا، فجاؤوا بعقلية العمالة في ثوب الشريعة الخارجية، ولباس بسط الشرع -الاستعماري- إعمالًا للسيف في رقاب المسلمين، وسلامةً للغزاة المحتلين، وقد صدق فيهم -ﷺ-: (إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَخْرُجُونَ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ).

في أفغانستان المجاهدة الصابرة المرابطة رفع الخوارج لشريعتهم الخاصة المرتبطة بالأجندات الغربية المشبوهة؛ لواء إقامة شريعة عبثت بها أيادي الغزاة، واستنسخوا لها ضباطًا بلحى طويلة، وعزيمة مدفوعة، وجَلَد مشبوه، فصاغوا لأجلهم جيلًا مشوّهًا، غاية همه تحطيم معاني العزة في الجيل، وطمس معالم أي مشروع إسلامي يقيم في الناس الكتاب والسنة، ويحفظ لهم بيضتهم،

(1) نُشرِ في مجلة الصمود، العدد 206 (شعبان 1444هـ - مارس 2023م).

ويدافع عن شريعتهم.

فأعمَلوا السيف في العلماء والدعاة والمجاهدين، وقادوا الغزو المشبوه على المساجد والأسواق والفنادق، ورفعوا لذلك شعار إقامة الشريعة على طريقة ضباط المخابرات العالمية.

فأفغانستان التي طردت المحتل بعد جهاد مبارك استمر لأكثر من عشرين سنة، وصرّحت بهويتها الإسلامية التي لا تقبل المداهنة على ثوابت الدين، وأقامت في الناس شريعة الرحمن، وقادت مرحلةَ تطهيرٍ من رجسِ دولةٍ عميقةٍ عبثت بعقائد وأعراف الناس، ولازالت تقاوم وتجاهد على هذا الثغر؛ باتت الآن مسرح عمليات الخوارج تحت ذريعة إقامة الشريعة التي وضع أصولها ضباط المخابرات العالمية، ودرَّس متونها قادة الخوارج للجيل المندفع، فارتقى في ميدان منازلة الخوارج على المسيرة المباركة قادةٌ عظام، وأئمة أعلام، وباتت المسيرة التي سلمت منها جيوش الغزاة من الأمريكان وحلف شمال الأطلسي، أمام استحقاق مواجهةٍ أكثر خسة ونفاقًا من الغزو الغربي الصريح للبلاد، أمام كذبة الخرافة والوهم والسخافة، والتجييش المشبوه لحرف بوصلة الجهاد المبارك لتعمل الأسلحة في دماء المسلمين من القادة المجاهدين.

حدد الخوارج وجهتهم في أراضي الإمارة، وتعاهدوا –غدرًا صريحًا– أن ينحصر جهادهم المشبوه في خطة واضحة أبرز معالمها:

1- الخلاص من قادة الإمارة الإسلامية، وتعطيل عجلة النهوض التي تقودها الإمارة الإسلامية، من خلال بث الخوف في نفوس الناس، وإشاعة حالة من عدم الأمن من خلال سلسلة تفجيرات لا تحمل إلا طابع التخريب الممنهج وإرعاب الناس.

2- الاعتداء على المساجد وبيوت العبادة وتنفير الناس من الحالة الدينية، وإشاعة حالة من السخط في نفوس الأقليات من جهة، ونفس الشعب الأفغاني من جهة أخرى، لداعي غياب الأمن وعدم القدرة على أداء شعائر العبادة في المساجد.

3- استهداف السفارات والبعثات الدبلوماسية لإشاعة حالة من الاضطراب وغياب الأمن التام، وهشاشة العهود الدبلوماسية التي تقيمها الإمارة الإسلامية مع البعثات الدبلوماسية على أساس من تعامل الشريعة مع السفراء الوافدين، وغاية ذلك: إبقاء الإمارة الإسلامية في حالة مُجالَدَة داخلية أشبه بالفوضى وعدم القدرة على بسط الأمن، وبالتالي عدم استحقاق الاعتراف بها ككيان سياسي له خصوصية يجب احترامها والتعامل معها، وأن الاعتداء

على أموالها المحتجزة ومقدراتها المختطفة هو اعتداء على دولة مستقلة يجب إدانته والعمل على رفعه بكل سبيل.

4- تشويه الإمارة والتشكيك في قراراتها الشرعية لغرض تفريق الكلمة، وتجييش الشباب المسلم المندفع لمنابذتها ومعاداتها ومحاربة قادتها والتقرب بسفك دمها، وبالتالي: إضاعة جهود الرقي بالشعب الأفغاني، وصهره في أتون حرب داخلية تظهر بمظهر تصارع مكوّنات الشعب الأفغاني فيما يشبه الحرب الأهلية التي لا تبقي ولا تذر، ولاشك أن هذا له انعكاس سلبي على أطياف الشعب الأفغاني من جهة، ومن جهة أخرى محاولات إظهار عجز الإمارة عن القيام بمهمة قيادة المرحلة التحررية، ما يستدعي التنازل عن كثير من الثوابت موافقة للمنظومة الدولية الاحتلالية السالبة لإرادة الشعوب المسلمة.

5- الاستهداف المباشر لقادة الإمارة الذين يمثلون تاريخًا ملهما للأجيال وحاضرًا أكثر إيلاما للغزاة، لأن مجرد وجودهم يمثل إعلانًا متجددًا لهزيمة هبل العصر؛ أمريكا، فكانوا ولازالوا مادة الاستهداف على أجندات المخابرات العالمية ينفذها عملاء التواصل بلباس الخارجية المعاصرة.

فنالت أياديهم الآثمة الشهيد الملا محمد داوود مزمل -أحد القادة الذين أذاقوا الأمريكان وحلف شمال الأطلسي بأس عباد الله المجاهدين في السنوات العشرين الماضية- وسارعوا بتبني الاستهداف والتفاخر به على منصاتهم المشبوهة.

استهدافٌ جاء رِضاء لشرعة الكفر ومسارعة في المنظومة الغربية الكافرة، وإن ألبسوا أعمالهم لباس الشرع، والشرع منها براء.

فالإمارة الإسلامية التي يحاربونها لدعوى وجوب تحكيم الشريعة، قد دعت الناس لها من غير مواربة، وتحمّلت لصريح دعوتها معاداة الغرب الكافر، فحوصرت وصودرت أموالها وساوموها على الاعتراف والتمثيل الدبلوماسي لغرض زعزعة عزمها تحكيم الشريعة الاسلامية، وإنه ورغم التصريح -الذي لا يحمل لبسًا- قاتلهم عملاء الغرب بلباس الحرورية على شريعة غير شريعة الإسلام، وإنما شريعة العم سام، وجندوا لها أغمارًا من الشباب العاطفي المندفع، ولبّسوا عليهم عمومات غير منضبطة، وإطلاقات غير مقيدة بالفهم الصحيح، حتى صاروا مطايا الاستعمار لكن بلحية طويلة وعزم خارجي مذموم.

الإمارة الإسلامية أمام استحقاق مجاهدة جديدة، تبدأ:

1- بوجوب توعية الشباب المغرر بهم.
2- وتكثيف الخطاب الدعوي المُفْهِم.
3- ومحاصرة رؤوس الشر والانتهاء من فتنتهم.
4- والضرب بيد من حديد على غارات الغزو الغربي بلباس الحرورية القبيح.

وهي لها -بإذن الله تعالى- فالدعوة التي خضّبتها مسيرة الدم ثباتًا من غير تبديل لن يهزها مكر الخارجية العميل، وغدًا تعلو راية الإمارة الإسلامية عِزةً وثباتًا لتؤدي دورها على أحسن ما يكون.

حفظ الله الإمارة الإسلامية وقادتها وجندها، وكبت الله عدوها.

❊ ❊ ❊

رسالة علماء الإمارة الإسلامية للمرابطين في بيت المقدس وأكنافها (1)

حاولوا اغتيال الحقيقة حين غيبوا شمسها غدرًا، فلم تمت الحقيقة وعاشت في الناس دهرًا.

على أرض الجهاد والاستشهاد أفغانستان العز، وعلى وقع كلمات الشيخ الشهيد المغدور: مجيب الرحمن الأنصاري -رحمه الله- لجنود القسام وأهل فلسطين، قامت جموع المرابطين تردد مقالته، وتنشر كلماته، وتهتف بها في ثغور الرباط والجهاد، وهي تستنشق عبق معاني الولاء والبراء، والأخوة والوفاء.

ترى في نور صدقها رسالة الأمة الواحدة، والمصير المشترك، والغاية العادلة، جهة أهم القضايا التي تمس الأمة بمجموعها، ولم يلتفت لها إلا مجاهد أبيّ عاش مرارة الاحتلال، وقهر تسلط قوى الكفر على مقدساته وحرماته.

تردد مقالة الشيخ -رحمه الله- وهي تجدد فيها يقين الوعد المكتوب، والنصر المشهود، وهي ترى علماء الأمة وأخيارها ومجاهديها في خندق النصرة الواجبة، والرباط اللازم عن قبلة المسلمين الأولى، ومسرى النبي ﷺ، وبوابة الرسل إلى السماء.

تردد مقالة الشيخ وهي ترى في الأفق خيول سلمان الفارسي تؤم بيت المقدس، وتصلي فيها صلاة الفاتحين بعد تطهير غاب زمانه أمدًا بعيدًا.

رسالة الشيخ -رحمه الله- على منبر بلاد الجهاد والاستشهاد، والصبر والجَلَد لمجاهدي القسام وأهل فلسطين، جابت فضاءات البلد المقدس، وكأنها الآن تخطب على أسنة الرماح، ومنابر التحريض، تؤكد أصالة الرسالة، وصحيح إيمان حامليها من قادة الإمارة الإسلامية -حفظهم الله- وهم يحيون في الجيل قضية أريد لها طمسًا وغيابًا ونسيانًا.

قضية توالى عليها مكر البعيد والقريب، يعوّلون على موت الكبير ونسيان الصغير، وتشويه وعي جيل، لتأتي رسائل الأبرار مخطوطة بمسك الدم، تضخ في القضية دماء الحياة، وتجدد العهد على سبيل النصرة والرباط، وأنها حية في النفوس وإن بُعدت الديار عنها.

يقول الشيخ -رحمه الله-: "يا أهل فلسطين، إن أحفاد سلمان الفارسي على خطى عزّ الدين، وياسين، وعياش، قادمون.

يا أبناءنا في القدس والخليل وغزة الأبية، قسمًا بالذي رفع السماء

---

(1) نُشرِ في مجلة الصمود، العدد 207 (رمضان 1444هـ - أبريل 2023م).

بغير عمد، وحرر كابل بمدد تلو مدد، أن فجر تحرير الأقصى قد اقترب أجلُه، فأبشروا فإن نصر الله قريب.
يا أهل فلسطين، إن جباه مجاهدي أفغانستان تتعطش سجودًا بين يدي الله على أرض المسجد الأقصى التي بارك الله حولها، واعلموا أن المجاهد الأفغاني إذا وعد وفّى".

وإننا لا شك نرقب خيول النصر تؤم البيت المقدس، وتزيل عنه رجز أطول احتلال لبقعة مقدسة لها ارتباط عقدي في نفوس المسلمين.
غاب الشيخ -رحمه الله- غدرًا على يد الخوارج؛ طمعًا في إسكات صوتِ مؤمنٍ حرٍ، عاش لأمته وقضاياها، فأرادوها ميتةً لا تفيد، فقامت في الجيل كأنها بعثٌ جديد.
حاولوا طمس نورها، وإسكات صوتها، وإخماد نارها، وما علموا أن رسالة الشيخ منهج نهض له علماء الإمارة -حفظهم الله- وأحيوه في الجيل، بل وأحيوه في كل محفل واجتماع.
ولازالت الإمارة الإسلامية حاضرة مع فلسطين وقضيتها، تناصرها نصرة لا تقبل ترددًا، ولا تعرف ارتيابًا، أقامتها أصيلة جزءًا من ثوابتها قديمًا وحديثًا ومستقبلًا -إن شاء الله- فالإمارة -التي كانت ولازالت ترى في الاحتلال الصهيوني كيانًا غير شرعي، اغتصب أرضًا مباركة من بلاد المسلمين، وأن الواجب إخراجه منها، وتطهير رجسها عنها- ناهضت ولازالت موجات التطبيع والاعتراف بالكيان، رغم الحصار المفروض عليها، ورغم الفاقة التي أصابت أرضها وناسها، ولازالت تقيم فينا صروحا مشيدة من العَجَب، ودروسًا عظيمة في الإيمان والثبات يتضاءل أمامها كل جهد مبذول، وعمل مسؤول.
لازلنا نتعلم من علماء الإمارة الإسلامية وننهل من صافي فهمهم، ونقاء نظرتهم، وبعد نَظَرهم لوقائع اشتبهت على كثير من الناس، فجلّاها علماء الثغور جلاءًا امتنع معه التباس، وغار معه عقيم نظر.
وإنْ كان من وفاء للأوفياء في أمتنا العظيمة، وللعلماء الأفاضل في الإمارة الإسلامية المباركة: فهي بشرى الثبات، والعمل الدؤوب مراكمةً للقوة، وإعدادًا متينًا، وجَلَدًا منقطع النظير، استعدادًا لوعد الآخرة الذي قضاه الله قضاءً شرعيًا، أننا نجوس الديار، ونتبّر للعدوان كل بنيان، ونقيم صروح العدل في أرض العدل والطهر، وأن نكون رأس حربة لجموع الفاتحين من المجاهدين.
هي جولات أنشأت في الجيل جيلًا لا يقنع بغير التحرير منتهى، ولا يقبل بغير كنس المحتل غاية، أثمرت فيه دعوات الجهاد حتى اشتد عوده، وبلغ

أشده.

ليس غريبًا أن تسري كلمات الشيخ -رحمه الله- في نفوس المقدسيين، يتداولونها على حرص وفهم وعميق تدبر، فكلمات العالِم المجاهد العالم يكسوها بهاء الإخلاص، ونور اليقين، وتجللها نظرات سَبَرَتها وقائع وأحداث جسام، حتى استقرت على جوديّ اليقين، فعاشت بين الأحياء تقتات قلوب الشباب إلى حيث الغايات العظيمة.

رحم الله سيدًا كيف قال: "إن كلماتنا ستبقى ميتةً لا حراك فيها هامدةً أعراسًا من الشموع ، فإذا متنا من أجلها انتفضت وعاشت بين الأحياء، كل كلمة قد عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسان حي فعاشت بين الأحياء، و الأحياء لا يتبنون الأموات".

رحم الله شيخنا وأستاذنا مجيب الرحمن الأنصاري، وأجزل له المثوبة، وجزى الله علماء الإمارة الإسلامية عن أمتهم خيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

طالبان من الجهاد حتى الإمارة؛ مبادئ شرعية السياسة [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وحبه ومن والاه. أما بعد:

إن مما يُجلّل خاتمة العمل الجهادي التدافعي على الأرض؛ حفوفه بمشروع سياسي يستند إلى شرعية السياسة التي تشكل مظلة قيام الدولة المسلمة.

ولم تخلُ مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي من مشروع سياسي يمثل كيان الدولة ويعبر عن خطوط سياساتها الداخلية والخارجية، ويحدد أولوياتها الاستراتيجية.

وإن المتأمل في كتابات العلماء القدامى المتعلقة بالسياسة الشرعية للدولة المسلمة، يقف على حقيقة أن الفقهاء لم يستخدموا مصطلح "السياسة الشرعية" باعتباره لقبًا؛ وإنما جاء ذلك متأخرًا، وإنما كانوا يعبرون عنه "بالسياسة" أو "السياسة العادلة" أو "المصلحة"، ولعل أول من استخدم مصطلح "السياسة الشرعية"؛ ابن عقيل في كتابه: "الفنون"، ونقل ذلك عنه ابن قيم الجوزية. وقال ابن عقيل في "الفنون": "جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية: أنه هو الحزم ولا يخلو من القول به إمام" [الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية].

ثم استخدم هذا المصطلح من بعده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية".

ولعل السبب في تقييد السياسة بالشريعة، والتأكيد عليها كمركّب إضافي؛ لانتشار قلة العلم، وفساد الذمم، وعادة الملوك -فيما بعد- بالتفرقة بين الشريعة والسياسة لتحقيق أغراضهم.

قال شيخ الإسلام: "فلما صارت الخلافة في ولد العباس واحتاجوا إلى سياسة الناس وتقلد لهم القضاء من تقلده من فقهاء العراق، ولم يكن ما معهم من العلم كافيًا في السياسة العادلة: احتاجوا حينئذ إلى وضع ولاية المظالم وجعلوا ولاية حرب غير ولاية شرع، وتعاظم الأمر في كثير من أمصار المسلمين، حتى صار يُقال: الشرع والسياسة؛ وهذا يدعو خصمه إلى الشرع، وهذا يدعو إلى السياسة، سوّغ حاكم أن يحكم بالشرع والآخر بالسياسة. والسبب في ذلك أن الذين انتسبوا إلى الشرع قصروا في معرفة السنة؛ فصارت أمور كثيرة إذا

---

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 211 (محرم 1445هـ - يوليو 2023م).

حكموا ضيّعوا الحقوق وعطّلوا الحدود، حتى تُسفك الدماء وتؤخذ الأموال وتستباح المحرّمات، والذين انتسبوا إلى السياسة صاروا يسوسون بنوع من الرأي من غير اعتصام بالكتاب والسنة، وخيرهم الذي يحكم بلا هوى وتحرّى العدل، وكثير منهم يحكمون بالهوى ويُحابون القوي ومن يرشوهم ونحو ذلك" [مجموع الفتاوى (20/392-393)].

وقد جاء تعريف السياسة في كتب السادة الأحناف باعتبارات جانب النظر، ففيما عرّفها ابن نجيم –ملتفتا لجانب المصلحة- بأنها: "هي فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي" [البحر الرائق شرح كنز الدقائق (5/11)]. وعرّفها ابن عابدين –باعتبارها مرادفة للتعزير-: "تغليظ جناية لها حكم شرعي حسمًا لمادة الفساد، وقوله: لها حكم شرعي معناه أنها داخلة تحت قواعد الشرع وإن لم ينصّ عليها بخصوصها". [حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار(4/15)].

وقد جاء للسياسة الشرعية تعريف يواكب حداثة الدولة بأنها: "تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية، بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار، مما لا يتعدى حدود الشريعة أو أصولها الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين". [السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية؛ لعبد الوهاب خلاف (1350)(14)].

وبالنظر لحدود التعريفات، تدرك أن السياسة الشرعية إنما اكتسبت شرعيتها من شرعية السياسة، وأنها شرفت باستنادها لأصول الشريعة السمحة، ولم تتجاوز قدرها جناية على النص الشرعي، وإنما دارت في حِماه.

ولما كان علم السياسة الشرعية علمًا عميقًا لا يحسن سبره من لم يتضلّع مقاصد نصوص الوحيين –كتابًا وسنة- ولا يتقن خوض غمارها من يبس رأسه على إطلاقات وعمومات لا يُحسن توظيفها لصياغة التصور الصحيح للواقع والتعامل معه ومناطاته الخاصة، واتهم الجهلة العاملين، ورموهم بعظائم التهم، استنادًا لجهل مقيم، وأثارة علم عقيم؛ كان مستحسنًا أن نقف على أبرز ملامح دلالات المعنى الاصطلاحي للسياسة الشرعية، لتستبين لطالب الهدى منارات الفهم الصحيح، وتتسع معه دائرة الإعذار للعاملين، ونرسم بها خريطة التصور الصحيح المانع من التعجل، والتردّي في وحل معاداة ما نجهل.

دلالات المعنى الاصطلاحي للسياسة الشرعية:

* التقريرات السياسية الشرعية ليست توقيفية: وما يصلح لزمان ليس

بالضرورة أن يصلح لكل زمان، وما يناسب جماعة في بلد ليس بالضرورة أن ينسحب على جماعة أخرى في بلد آخر في نفس الزمان، وأن لكل جماعة عاملة مناطاتها الخاصة التي تحتّم على راجي الهدى أن يقف عليها وقوفًا متقنًا ليُحسن بناء التصور الصحيح، ثم التعامل مع الواقع على وفقه، وأنه ليس هناك مصلحة عرية عن مفسدة، وأن المصالح الخالصة عزيزة في الشريعة، وأن من لم يفقه مفاتيح تلك الخريطة في بسط سيطرة الفهم عليها، فليس له أن يُعمل عقله في النصوص على جهة التحكم المذموم ليرمي بسيء الخلاصات العاملين افتراءً منبوذًا، وأن جهة التحديد والتصويب والإفادة هم علماء الجماعة العاملة المخالطون للواقع بتعقيداته، الممارسون للفقه بتقعيداته.

❋ الاجتهاد السياسي الصحيح هو الذي يضبط المسافة بين النص والحال: تحقيق مناطات نصوص السياسة الشرعية في الواقع لابد له من مراعاة أسباب الوصل بين النص والحال، وضبط المسافة بينهما لضمان غالب ظن الموافقة، وأن الفصل في القضايا جزء التصور الصحيح، وأن معاينة الواقع وملامسة أحواله ومكابدة تعقيداته أساس الفتوى الصحيحة، وأن شمولية النظر ركن العصمة من خطأ الانكفاء على بعض التصور الأبتر، وأنه ليس لمن لم يملك أدوات النظر الفصل في الوقائع السياسية.

يقول الإمام الشافعي –رحمه الله–: "لا يحل لفقيه أن يقول في ثمن درهم ولا خبرة له بسوقه" [الرسالة: 511]. فمن لم يعاين الوقائع، ولم يطّلع على حيثياتها، ولم يلامس ضروراتها، ولم يتعض للحاجة الملحة؛ فليس له أن يعارض فتوى المتخصصين، أو يشوش على اجتهاداتهم التي لم يُحط بأصولها خبرًا، وأن المعارضة هي قول بلا علم، وهي لعمري أعظم الإثم، فكيف إذا تولى الكبر، واستحكم العناد، فاقتُحمت عقبة الحرام فصال الجهلة بجهلهم على الدماء والأموال والأعراض؟!

❋ الاجتهاد السياسي الصحيح هو الذي يراعي النسبة الواجبة بين الأولويات المطلقة والنسبية، والثوابت والمتغيرات: فلا يقدّم متغير على ثابت ولا ينزل منزلته، ويميز بين الأولويات المطلقة والنسبية، وتضبط أولويات الاختيارات السياسية على أساس من مراعاة الحذر في النسبة الواجبة بين الأولويات المطلقة والنسبية، وفق قواعد موزونة من غير طغيان جانب على آخر، ففي الأولويات المطلقة المتمثلة بحاكمية الشريعة لا يُقبل حتى التردد أو المساومة، ولا يطغى سلطان العقل على سلطان الشريعة، وإنما يتبعها

ولا يتقدم عليها، وتُصاغ الرؤى المرحلية والاستراتيجية لمخرجات التصور الشرعي على قواعد متينة في فهم تغير ظرف الزمان والمكان في تبنّي الاختيارات والأولويات النسبية القابلة للمناقشة من غير تشدد أو تعنت قضاءً بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وفقهًا في مراعاة خير الخيرين وشر الشرين عند التزاحم، ودقةً في فهم المقاصد والموازنات.

❋ الاجتهاد السياسي الصحيح هو اجتهاد يراعي أسمى مقاصد الدولة:

الدولة الإسلامية التي تطمح لترسيخ أركان ديمومتها، وضخ معاني الحياة فيها، تجعل من أبرز سياساتها تحقيق جملة من المقاصد التي تمثل كيان الدولة، والتي لا يتصور خلوها منها، وهي:

- تحقيق مشروعية التمثيل: فالدولة الإسلامية ليست مدار الكون، وإنما هي جزء منه، وجزء من سننه القدرية والشرعية، وما يميزها عن غيرها استعلاؤها بالشريعة وأصولها، ولا يسع المسلم إلا مناصرتها والذوبان فيها حد التماهي، وأن يحذر من دعوات النفاق التي لا تتنامى إلا عند قيامها واستقرارها، فوجب الانتباه لكل الدعوات الصريحة والخفية التي تسعى للنيل منها لتحطيمها في نفوس أتباعها قبل رعاية وتغذية إنهاكها وانهيارها بسياسات المعتدين من غيرها.

- الهوية: الدولة الإسلامية لها هويتها الخاصة التي تستعلي بها على كل هوية أرضية، فهي تستمد عظمة هويتها من انتمائها للدين الحنيف وسيادته المطلقة، وأن إعلانها للهوية الإسلامية يستوجب الانخراط فيها من غير شغب أو تشويش، وأنه لا يسع الحاكم والمحكوم إلا الخضوع لها والإذعان لقانونها المنصوص، على اعتبار أن السلطة التنفيذية والقضائية إنما هي من أبرز خصائصها التي لا يزاحمها فيها جاهل مدفوع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

- الأمن: من أعظم مقاصد الدولة الإسلامية تحقيق الأمن الداخلي والخارجي للمسلم، فبالأمن يحفظ الدين والدنيا، ولا يصلح حال الراعي والرعية بغير أمن، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنزلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ

بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: 25]، وفي ذلك توجيه بعدم التهاون بشأن محاولات العبث بأمن الدولة، والأخذ على يد الخارجين عن سلطانها لقهرهم ومنع تخريبهم.

- التنمية: من أسمى مقاصد الدولة الإسلامية تحقيق التنمية، وضمان السلام الاقتصادي للناس، وبناء سدود الأمان التنموي، والنهوض بالدولة لمصافِ الريادة الاقتصادية، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25]، قال ابن كثير: "في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم، والمنشار، والإزميل، والمجرفة، والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه، وغير ذلك" [تفسير ابن كثير: 8/28]. فالدولة الإسلامية دولة حياة وليست دولة منعزلة تقوم على أساس من الرهبانية المذمومة التي تنقطع دون حياتها ورسالتها العالمية في نشر دعوة الحياة للعالمين، وهي ليست علمانية منفلتة من قيود الشريعة، وأن من قدرها أن تحارب على جبهات: الكفر الصريح، والعلمانية الطاغية، والجهل المستحكم الذي تقوده بدعة الخوارج.

* الاجتهاد السياسي الصحيح هو اجتهاد يراعي المناط الخاص: إن كان تحقيق مناطات القواعد الضابطة للاجتهاد السياسي على الواقع تحتاج لفقه وفهم؛ فتحقيق قواعده في مراعاة المناطات الخاصة بالواقع أوجب في تحقيق الفهم والفقه، فلكل ساحة فقهها الخاص، ولكل ساحة واقع مغاير، ولا يصح استنساخ واقع سياسي باجتهاداته الخاصة على واقع آخر وإن تشابهت بعض حيثياته، فالعمل الجهادي تعتريه خصوصية مؤثرة في بناء التصور الصحيح لفهم خريطته السياسية، وهي جزء غير منفك عنه، وكل بناء تصوري لا يقف على المناص الخاص له؛ سيأتي غلطًا وإن حُشدت له كل القواعد، وصُفّت له كل الأصول.

وبعد هذه السياحة في رحاب المعنى الاصطلاحي ستجد نفسك مرغمًا على وقفة إجلال وإكبار وأنت ترى عظيم الرحلة الجهادية السياسية التي خاضتها الإمارة الإسلامية من ساحة الجهاد العسكري الوجودي وصولًا إلى منبر شريف الإمارة الإسلامية.

في الوقت الذي كان كثيرون يعوّلون على ضعف الإمارة الإسلامية في بناء مؤسساتها السيادية في ظل التناقضات المصلحية التي تعج بها السياسات

الدولية، واشتداد سطوة الحصار الخارجي، ونشاط أذرع الطغيان التخريبية في الداخل، أبهرت الإمارة الخصوم بحسن التدبير الداخلي والخارجي، وقدّمت نفسها بشكل متزن ينم عن عميق فهم، وراسخ نظر، واستطاعت الإمارة الإسلامية خوض غمار السياسة بما يضمن علو الهوية الإسلامية وتحقيق المصالح الشرعية، والبعد عن الذوبان في السياسات المحيطة.

اتخذت الإمارة الإسلامية لها سياسة شرعية واثقة عند صياغة الواقع، وعند التعامل مع الواقع، ولعل من أبرز سماتها:

❋ صاغت الإمارة الإسلامية سياساتها الشرعية على قاعدة من مراعاة المصالح وتحصيلها، ودرء المفاسد وتقليلها، وانشغلت بالأهم قبل المهم، ومدّت يدها لكل من يقدم لها إسنادًا ودعمًا في مسيرة البناء من غير تنازل، ولم تستَعْدِ أحدًا لم ينصب لها منجنيق العداء، واعتمدت سياسة الاحتواء ما أمكن، والتقت مع خصومها على قاعدة من المصالح المتقاطعة المشتركة، وانفتحت على كل خطة تحقق الأمن والتنمية وفيها انتشال للشعب الأفغاني من وحل الفقر والجهل، ولم يكن شيء من ذلك على حساب هويتها الإسلامية.

❋ صاغت الإمارة الإسلامية قواعد سياساتها الشرعية على ضبط فقه الممكن من غير إفراط أو تفريط، فهي تدرك أن المصلحة الشرعية أحيانًا قد تأتي من طريق ممنوع، وأنه لو سُدّ لفاتت المصلحة واستمر الممنوع، فقامت له مقام الموازنة لتحقيق الممكن من غير تحمل أعلى الفسادَيْن بدفع الأدنى، وأنه ليس كل سبب تحصل به الحاجات المشروعة قد يكون مشروعًا، وإنما يكون مشروعًا إذا غلبت المصلحة المفسدة وكان ذلك الممكن الواجب، وأن بعض طريق المصلحة قد يؤدي إلى المفسدة ويبقى مع ذلك على أصله من الإذن، لأن المصلحة إذا غلبت ورَبَت لا اعتبار معها بالندور في انخرامها، فالمصلحة الخالصة عزيزة، وليس هناك مصلحة عرية عن مفسدة.

❋ صاغت الإمارة الإسلامية سياستها الشرعية في إدارة الخلاف الخارجي والداخلي على قاعدة من الاتزان من غير طغيان صوت البارود على منطق الحكمة، فتُحجِم عندما ينتظر منها البعيد موقفًا عنيفًا، فتغلّب منطق الحكمة والاحتواء، وتزمجر عندما ترى من خصومها تعديًا على حقها وترى في ذلك سياسة شرعية نافعة تناسب الحال، ولا تعتمدها سياسة دائمة، فهي ليست في مشكلة مع جيرانها، وليست في عداء مفتوح مع خصومها، فتقاتل سياسيًا على

كل صعيد، وتحمي حقها في كل نازلة، وتصون هويتها في كل ميدان.

قفزت طالبان استحقاقًا لمنبر الإمارة، فأحسنت كثيرًا ولازالت، وقدمت نفسها بقوة، وحافظت على هويتها من الغزو السياسي الثقافي الغربي، والتمرد الداخلي الذي تتولاه أذرع الغرب في أفغانستان، وهي لاتزال في علو مدروس، وعناية ربانية تحفّها، فكانت –بحق– أنموذجا فريدًا يحتاج إلى عميق تأمل، ومتين دراسة.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

على ضفاف الانكسار المشهود [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

جعل النبي -ﷺ- غاية مناه أن يغزو في سبيل الله فيقتل، ففي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ) [البخاري ومسلم].

جعل النبي -ﷺ- أمنيته تابعة للخير الذي أقامه الله في العباد لقمع الكفر ووأد الشر وانتزاع الحق، إذ إن الجهاد في سبيل الله هو السبيل الوحيد الذي أقامه الله -تعالى- لنيل الحق ودفع الشر وبسط الأمن وحماية جناب التوحيد، قال الله -عز وجل-: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: 4]، فتعينت المدافعة، ووجبت المقارعة.

في السابع من أكتوبر لعام ألفين وواحد (2001/10/7) أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش تقسيم العالم لفسطاطين تحت لواء الحرب الدينية التي رفع لواءها في البيت الأبيض، فسطاط إيمان لا كفر، وفسطاط كفر لا إيمان فيه، وقاد قوات التحالف الدولية لغزو البلد المسلم؛ أفغانستان، وجاءت آلة الدمار والبطش على البشر والحجر والشجر، واستمسكت الفئة المؤمنة المجاهدة على ثرى أفغانستان بلواء الجهاد في سبيل الله، وخاضت معركة شرسة مع الغزاة استمرت عشرين سنة.

كان أشرس الميادين التي خاض غمارها المجاهدون: ميادين صراع الإرادات، والثقة بوعد الله، وهم يعيشون نصرًا في كل سَكَنة وحركة، ويدفعون بَطَر الغزاة المحتلين.

ارتفع صوت الباطل وصارت له جلبة، وتحركت معه المَكَنَات الإعلامية وصوّرت الهزيمة نصرًا وقهرًا، وكان على الطلبة أن يعيشوا مرحلة الصبر ليصنعوا التاريخ، ويقيموا في الناس اليقين.

بعد عشرين سنة اندحر الاحتلال الأمريكي عن البلاد، وبانت سوءة الباطل، وتلاشت انتفاشته، وقام المجاهدون -قدرًا مقدورًا- يصوّبون أنظار أمتهم إلى حيث الوثوق بوعد الله، والتمسّك بيقين غلبة الدِين وعلوّه على كل دعوات أرضية.

---

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 213 (ربيع الأول 1445هـ - سبتمبر 2023م).

بعد عشرين سنة من الجهاد على ضفاف الانكسار المشهود، أبصرت الأمة حقيقة الهزيمة اليومية التي كان يعيش جحيمها الغزاة والتي سربلوها سرابيل وَهْم النصر بخيوط السراب، وأن العنتريات المرئية لم تكن سوى كذب مكشوف قهرته أقدام المجاهدين، وعرّته قواصفهم واليقين، وأن يقين الملا عمر -رَحِمَهُ اللَّهُ- قد علا كِبر الغزاة، وهو يهتف في أذن الجيل حديث اليقين: "إن الله وعدنا بالنصر، وتوعدنا البوش بالهزيمة، فسنرى أيَّ الوعديْن يُنجزُ أولًا، والله لن يُنجزَ إلا وعدُ الله"، وقد كان.

بعد عشرين سنة من الجهاد على ضفاف الانكسار المشهود، أيقنت قوافل الأجيال: أن الواثق بوعد الله سيعلو فوق كل وعد مكذوب عن الهدى محجوب.

بعد عشرين سنة من الجهاد على ضفاف الانكسار المشهود، أيقنت الأمة: أن المَكَنَةَ الإعلامية التي حاولت على المدى تشويه صورة الجهاد الأفغاني، وتحسين صورة الغزاة، كانت تعاين أضرار الهزيمة اللحظية، وأن التحالف كان يتقلب على صفيح نار الجهاد الأفغاني، وأن الترويج للنصر في حينه لم يكن سوى قضم الجمر على نار القهر.

بعد عشرين سنة من الجهاد على ضفاف الانكسار المشهود، أيقنت الأمة أن العمالة التي سارعت في العدو الغاصب والتي حاولت تغيير حقائق السنن القدرية الشرعية؛ كانت تتهاوى لسحيق الخزي اللحظي على ضفاف الانكسار المشهود، وأنها كانت مجرد دمية في مسرحية هزلية باهتة، أدوارها نجسة، في بيئة قذرة، وأن قدر الله لا يُغالب، وأن يقين النصر يسحق وَهْم البسط والسيطرة.

بعد عشرين سنة من الجهاد على ضفاف الانكسار المشهود، علمنا أن المهزومين نفسيًا أعوزهم وخز إبر اليقين لدفع غارات اليأس عنهم، وأن الدين حتمًا سيبقى منصورًا، وأن الكفر ليس له دولة دائمة ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]. وأن اليأس في الدعوات حرام، حرامٌ صحبتُه، وأن الأمة التي تنهض في وجه بؤسها وتقاتل؛ هي أمة لن تموت، وأن الحقوق المسلوبة لا تسترد إلا بالجهاد وحَدِّ السنان، وإنْ استثقل الناس طريق الجهاد.

وأن الحق الذي لا يسانده الحديد، يتيم على مائدة اللئيم العنيد، وأن الحق الذي لا تسانده القوة، هَزْلٌ في زمن الفتوة.

وإنّ ألفـــي قذيفة مـــن كلام
لا تســـاوي قذيفة مـــن حديد

لا يُـــرَدُ الحـــق في المجلـــس
ولكـــن في مكتـــب التجنيـــد

بعد عشرين سنة من الجهاد ذابت كيانات الهزيمة النفسية على ضفاف الانكسار المشهود، ورسخ المجاهدون بتضحياتهم ركائز اليقين بحتمية النصر والغلبة، وأن الدين منصور ظاهر، والحق غالب قاهر.

وقد قالوا قديمًا قولًا حكيمًا، ولا يزال معنى عظيمًا سليمًا: "الحق ما شهدت به الأعداء".

واليوم نحن أمام حقائق تاريخية قهر الزمان أصحابها وألزمهم مقالة الصدق، في زمن أفُول الباطل وجنده، وعلو الحق وجنده.

الغزاةُ يشهدون بالفضل لأبطال الإمارة الإسلامية إذعانًا.

وشمائل شهد العدو بفضلها
والفضل ما شهدت به الأعداء

هذه شهاداتهم على حقبة نقمة الأُباة، على فلول الغُزاة:

- **المبعوث الأمريكي لأفغانستان:** "التعامل مع طالبان عسكريا لم ينجح".
- **رئيس الوزراء البريطاني السابق:** "علينا أن نكون واقعيين بشأن قدرات بريطانيا أو أي قوة أخرى في فرض حل عسكري".
- **المتحدث باسم البنتاغون:** "طالبان كانت تحقق مكاسب على الأرض حتى قبل سحب جنودنا".
- **منسق الشؤون الخارجية في الإتحاد الأوروبي:** "طالبان انتصرت في الحرب".
- **ماكرون الرئيس الفرنسي:** "ما يحدث في أفغانستان حاليًا (فتح كابل) يمثل منعطفًا تاريخيًا له تداعيات كبيرة على فرنسا".
- **ميركل:** "التطورات الأخيرة في أفغانستان (فتح كابل) مريرة لألمانيا والولايات المتحدة والأمم المتحدة".
- **جونسون:** "ما حدث في أفغانستان اليوم كان متوقعًا منذ فترة طويلة".

- **الرئيس الأمريكي بايدن:**
  - "ما نراه الآن يثبت أن ما من قوة عسكرية يمكنها تغيير مجرى الأحداث في أفغانستان المعروفة بأنها مقبرة الغزاة".
  - "الطريقة الوحيدة لتحقيق السلام في أفغانستان هي التعايش مع طالبان".
  - "قرار انسحابنا من أفغانستان كان السبب الرئيس وراء وقف طالبان هجومها على قواتنا".
  - "20 عامًا من الخبرة أثبتت لنا أن الاستمرار في القتال لعشرين سنة أخرى ليس حلا للأزمة".
  - "طالبان كانت في أقوى وضع عسكري منذ عام 2001 حينما توليت السلطة".
- **البيت الأبيض:** "لم تتوقع أي وكالة أمريكية سيطرة طالبان على كابل في 9 أيام، ولم نتوقع فشل القوات الأفغانية".
- **المفوضية الأوروبية:** "على الناتو الرد على أسباب الفشل في أفغانستان".
- **بلينكن وزير الخارجية الأمريكي:**
  - "كنا سنعود للحرب مع طالبان إذا لم نسحب قواتنا".
  - "عندما تولت إدارة بايدن الحكم كانت طالبان في موقع قوة".
  - "بحلول يناير من عام 2021 أصبحت طالبان في أقوى حالاتها عسكريًا منذ هجمات 11/9".
  - "أسوأ السيناريوهات لم يتوقع انهيار القوات الأفغانية خلال 11 يوم".
- **قائد القيادة الوسطى:** "لم نكن نتوقع سيطرة طالبان على أفغانستان خلال ساعات".
- **رئيس هيئة الأركان:** "800 ألف جندي أمريكي خدم في أفغانستان، والحرب لم تنتهِ وفق الشروط التي وضعناها".
- **مستشار الأمن القومي:** "الوجود الأمريكي لم يكن سيُوقف تقدم طالبان وكنا سندفع ثمنًا باهظًا".

على ضفاف الانكسار المشهود، معالِمُ عُلو منهج الطلبة، وثبات أفهامهم، ورسوخ يقينهم، وهم في الناس مشاعل هداية، تبذر في نفوس الجيل بذور اليقين وأن الجهاد حياة للنفوس، والاستسلام قهر وقتل لها، وأن النصر صبر ساعة، وأن الطارئ لا يستقر، وأن الحق له كلمة الفصل، وإن رآها الخلق كلهم بعيدة، فهي في نفوس المجاهدين أقرب مما يظن الظانّ بالله ظن السوء والمنهزم على عتبة اليأس المضروب.

والأمة –لا شك– لها مع النصر الأكبر موعد لن تُخلفه بإذن الله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51].

❊ ❊ ❊

طوفان الأقصى وحقيقة أن الجهاد في سبيل الله لا يُقام بمنطلقات غيره [(1)]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

قضى الله -تعالى- بحكمته البالغة أن يبقى الإسلام عزيزًا كريمًا، وأن لا يجعل للكافر على المؤمن سبيلًا، وأنه -تعالى- لا يزال يقيم لهذا الدين رجالًا، يحيَون في أمتهم -مع اختلاف الزمان، وضعف الإيمان- لدينهم وعقيدتهم، ويبذلون لها الأرواح والمهج في ميدان الرضا والتسليم التام؛ لا يقبلون دنية في الدين؛ ولا يعرفون انكسارًا أمام العتاة المجرمين؛ يهتف في خلدهم نداء الواجب العظيم (طُوبَى لعبدٍ آخذٍ بعنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللهِ)، ينتصرون لمبادئهم انتصار المؤمن المجاهد هانت عليه نفسه في ذات الله، فلم يأبَه على أي جنب كان في الله مصرعه.

رجالٌ لم يعرفوا تأصيلات المنبطحين؛ ولم يسمعوا شنشنات القاعدين.

لهم مع الجهاد تأصيلات صاغتها أقلام علماء أمدّوها مداد الدم على طريق الخلاص؛ فتجلّت لهم معاني الفهم على الحقيقة؛ منحةُ الله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: 69]، أقاموا لمقتضى العلم الصحيح، البذل المخلص المليح، فعاشوا أصول التنزيل والتحقيق سجيةً مع كل دفقة دم في أجسادهم المرابطة؛ ولم يكونوا مجرد حفظة سَرَدة، آلة تُعيدُ ولا تفيد.

وإنه لمن عظيم نعمة الله على المجاهدين أنهم مترفّعُون عن سماع كثير من تلك الأصوات؛ معرضون عن تقعيداتها القلقة المحادّة لمراد الله من كتابه، ومراد النبي -ﷺ- من سنته؛ المعاندة لدلائل الواقع النبوي والشواهد الجهادية لأسلافنا الممتدة لحقب من التاريخ الإسلامي.

لهم في النائحات أمدادُ تثبيط؛ وليس لهم في المكرمات حرف نور يدلّ عليهم.

فالحمد لله على اصطفاءِ مقام كان في الله محض اختيار وتوفيق إلهي، لا اختيار للمجاهد فيه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68].

بعد نفثة الغيظ، وزفرة القهر، وتحت وقع القصف المستمر، وفي عتمة

---

(1) نُشِرِ في مجلة الصمود، العدد 216 (جمادى الآخرة 1445هـ - ديسمبر 2023م).

ليل يشق صمته وهدوءه هديرُ طائرات الموت؛ طوّعت قلمي لبيان حقٍ واجب، ودفعِ فِريَةٍ يصار بها لمصافِ الحقيقة على قواعد تأصيلات انهزاميةً عرجاء، حسبةً وجهادًا، صبرًا وجلادًا.

فالقلم في ساحة البيان صنو بندقية السنان.

وسأجعل الكلام منصبًّا في إشارات على النحو التالي:

■ الإشارة الأولى: وصف الجهاد الغزي.

■ الإشارة الثانية: مفاهيم واجبة.

■ الإشارة الثالثة: حوادث سبقت الطوفان المبارك.

■ الإشارة الرابعة: ميدان شاهد على حياة الناس.

■ ثم أخيرًا: ديباجة نصيحة.

الإشارة الأولى: وصف الجهاد الغزي

إنه من نافلة القول بيان: أن الجهاد يتعين على المسلمين إذا دَهَم العدوُ بلدًا مسلمًا، وأن دائرة الوجوب تتسع مع العجز، وأن القعود عن الدفع استسلامًا للعدو، وامتناعًا عن تحقيق الاستطاعة يعرّض أهله لمقت الله تعالى.

وأن طلب الخلاص من الاحتلال عبادة واجبة، وفريضة حتميّة، وأن دفع آثار ذلك الاحتلال عن المقدسات والحرمات وتوحيد الناس من آكد الواجبات وأجلّ العبادات.

وإن فلسطين جزءٌ من بلاد المسلمين، وهي قطعة من أرض الشام المباركة، وفيها قبلة المسلمين الأولى، ومسرى النبي الأمين -ﷺ- ومعراجه إلى السماء، وهي -مع ذلك كله- لا زالت ترزحُ تحت نير احتلالٍ صهيوني بغيض، زهاء ستٍ وسبعين سنة؛ لم يتحرك لواجب الخلاص فئةٌ ترفع لذلك لواء الجهاد مع وجوبه العيني على غير الفلسطيني لتوفر القدرة والمكنة؛ وكانت أغلب المحاولات ذات منطلقات أرضية هُزمت وتقزّمت واندثرت وانتهى بها المطاف لاتفاقيات قيّدت الشعوب المسلمة وكفَلَت لليهود حق العيش والبقاء على الأرض المغصوبة، ونال العدوُ شرعيةً قسريةً فُرضت على الأمة المسلمة عامة، والشعب الفلسطيني خاصة، وغُيّبت معه شعيرة الجهاد؛ بل وجُرّم أهلها.

فكان لابد من إحياء فريضة الجهاد ودفع العدو بالممكن المتاح؛ ولو بالحجارة دفعًا يُسقطُ به المسلم الفرض الواجب، ويُحيي به عزائم أمة حيّة مقهورة انتهت -أو كادت تنتهي- أحلامها بالخلاص من الاحتلال أو إمكانية مناوشته ومشاغلته، في نظرة مقاصدية واجبة؛ لا يتم وجوب الاستنفار إلا بها فتعيّنت.

الإشارة الثانية: مفاهيم واجبة

- **حد الإعداد الواجب**

يُدندن بعض من درس العلم مجردًا عن روح العمل؛ أن المجاهدين مجرد "دراويش" أهملوا الأسباب وغامروا بأنفسهم في معركةٍ أشبه بانتحارٍ محقق؛ والحق أن علماء الجهاد في الثغور أفقه الناس بحقيقة فهم القدر الواجب من الإعداد الذي تستنفر له جحافل الجيل لخوض معارك البطولة الواجبة، وأن بلوغه حد الإرهاب ودفع العدوان وتحقيق الإثخان مقصدٌ شرعيٌّ لا يجادِلُ فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: 60]؛ فهم لم يرفعوا قدر الأسباب التفاتًا مجردًا لها فتخطفهم حبائل الشرك؛ أو محوًا لها بالكلية فتصيبهم خِفّة عقل؛ أو إعراضًا عنها قادحين في الشرع -عياذًا بالله- وإنما أعدّوا على مدار سنين قدر الاستطاعة التي يمكن أن تُحقق بها مقاصد الجهاد، وتستنهض الأمة لمعركتها الحقيقية الواجبة.

وإن مسِيرة الشعب الفلسطيني عامة، وأهل غزة خاصة، شاهدة على تطور مسيرة الإعداد حدَّ الاستطاعة التي يغلب على الظن مقدرتها على إيلام المحتل، وإجباره على التراجع؛ بل وتعطيل مشاريعه التصفوية للقضية الفلسطينية.

فهم بالحجرِ وصولًا لوفرة السلاح الخفيف؛ أجبروا المحتل على مغادرة غزة والانسحاب منها وترك مستوطناته التي امتدّ عمرها في خاصرة بلدنا المحتلة مدة احتلاله.

خاضت كتائب القسام بعد الانسحاب أعظم تحدٍّ طلبًا للوصول لنوع تفوق عسكري يضم تشكيلات قتالية مدربة ومجهزة تجهيزًا علميًا عسكريًا منظمًا غير عشوائي؛ يقاتل به المجاهد قتالًا مدروسًا بعيدًا عن الاستخدام الفطري للسلاح، وارتقت في كل المجالات القتالية؛ لدرجة شهد لها العدو أنها ارتقت من مرحلة الفصائلية إلى ما يشبه الجيش النظامي.

أحدثت كتائب القسام طفرةً في الصناعات الصاروخية لدرجة تغطية كل شبر من أراضينا المحتلة، وتشكيل مظلة حامية لمحاضن التربية الجهادية للجيل في معسكرات التدريب.

وبإزاء ذلك عمِلَت الكتائب على إعداد الجيل إعدادًا إيمانيًا متينًا لقناعتها أن معركتها مع المحتل ليست معركة حضارية؛ وإنما معركة إيمانية رسالية ينتصر فيها الجيل للتوحيد والمقدسات المغصوبة، وقد كان لها ما أرادت، ويكفي إشارة على عُلوّ القدم في الإعداد: تجنب العدو مواجهتها في عدة جولات؛

إلزامه المستوطنين بتجنب اقتحامات المسجد الأقصى في عدة مناسبات؛ وعلاوة على ذلك: سقوط مستوطنات الغلاف وفرقة "حماية غزة" المؤلفة من آلاف الجنود والخبراء ووحدات تكنولوجيا المعلومات في أجهزة استخبارات وأمن العدو في غضون ساعتين تحت أقدام ألف مجاهد فقط؛ وأسر المئات منهم في غزة في معركة طوفان الأقصى يوم العبور العظيم.

- **جهاد القلة المؤمنة الكثرة الكافرة**

في بداية طلبنا للعلم لم نكن نستوعب معنى كلام العلماء عن اختلاط الأهواء والسياسة بعلوم الشرع ومزاحمتها مزاحمةَ محاولة تغلُّب وتغليف بعباءة التأصيل.

حتى أدركنا هذا الزمان ورأينا ذلك رأي عينٍ وعايناه معاينة الخبير، ووقفنا على كلامٍ كثيرٍ فارغ المضمون إلا من تحاسد مذموم قاد أصحابه لردّ الحق وتشويه صورته على قاعدة من الخلاف السياسي المانع من التسليم وقبول الحق ولو جاء من المخالف!!

وإن من أعجب العجب أن ينصب أقوامٌ معسكرات جدالٍ في حقائق يصل أثرها السيء لمسيرة أسلافنا الجهادية الشاهدة.

فعلى قاعدة التأصيل السياسي لا الشرعي؛ يعيب أقوام على كتائب القسام جهادها، وطوفانها المبارك؛ استنادًا لتأصيل حرمة مقاتلة القِلة للكثرة الغالبة!!!

وإن مثل هؤلاء -مجتمعين- كحال من أراد أن يطمس حقائق الشرع بغرابيل الحسد والسقوط والإخلاد إلى الأرض.

يُعظّمون قدر السبب ويستسلمون لمنطق الأشياء الأرضية بمعزلٍ عن حقيقتها الضعيفة، ومعارضة للحقيقة الإيمانية الثابتة بأن تحصيل الكثرة في المعارك ليس مطلوبًا، وأن حقيقة القرآن قاضية بخلاف ذلك، قال الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، وهذه وقائع غزوات النبي -ﷺ- شاهدة على هذه الحقيقة؛ فلم يقاتل الصحابة الكرام في معركة وهم أكثر عددًا وعُدة؛ بل كانوا قلةً في كل معاركهم، ولم يحظوا بكثرة إلا في حُنين، ولما حدثتهم نفوسهم بذلك نزل في رحالهم الابتلاء؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25]. ولعلّ من تجرد من حقيقة الفهم الصحيح لمقتضيات الجهاد في سبيل الله والتي لا تُقام، ولا يُنتصر لها انطلاقًا من أدوات غيرها، لو عاين وقائع مؤتة أو

بدر أو الأحزاب؛ أو عاصر عين جالوت وحطين وملاذكرد، وسار فيهم مسيرة هذا الفهم القلق لاتهم الأخيار الأبرار بأوصاف مردودة منبوذة.

إن القلة المؤمنة المتسلّحة حدّ بذل الوسع استطاعةً للدفع وردّ صِيال الغزاة هو المعتبر حين النظر لحقيقة المسألة من جهة الشرع، لا من جهة النظر السياسي على قاعدة من الرد ولو كان الدليل يصاحبه.

▪ موازين المصلحة الشرعية

من نافلة القول بيان أن النظر في تحقيق المصالح الشرعية يحتاج إلى دُربة وفهم للواقع فهمًا مانعًا من إهمال مخالطة الوقائع والنوازل من حيث التصور والتكييف والتطبيق، وكل خلل في هذه الرتب لا شك أنه سيؤدي إلى خطأ في مخرجات النظر.

وليس للذي لم يتدرّب على فهم الواقع والفقه فيه، ثم فهم الواجب في هذا الواقع أن ينصب موازين تقييم المصلحة وتقدير آثارها.

وإن الذي نصب حدود الفهم في إطار قواعد الاستسلام للواقع المغشوش، وتسليم قضايا المسلمين لإذن من لم يهتم بأمورِهم؛ بل ربما كان جزءًا من تغييبها ومحاربتها، فمثل هذا يحتاج لخلاص قبل النظر في الخلاص؛ فهو معزول عن الواقع والفهم فيه، مريض يحتاج شفاءً ودعاءً.

وإنك إن أتيت تراقب كثيرًا من الحوادث التي خاضها الصحابة ومجاهدو سلفنا الصالح بمنظور البعيد عن المخالطة؛ لم تقف على رَشَد؛ ولم تصب العدل.

فأي مصلحة في انغماس محمد بن مَسلَمَة –رضي الله عنه– في معسكر اليهود وحده طلبًا للانتصار للنبي ﷺ.

وأي مصلحة في إقدام البراء –رضي الله عنه– وتقحّمه أسوار الأعداء على أسنة الرماح.

وأي مصلحة في اشتراط شرطة الموت للنّيلِ من العدو، مع يقين تحقق القتل.

وأي مصلحة في فناء أصحاب الأخدود حرقًا لم يتعلّلوا بضعف، أو يتوسّلوا المعاريض طلبًا للنجاة.

وأي مصلحة في إقدام الغلام على الموت شهادةً أمام جمع الناس، وكان بالإمكان الفرار وملازمة الدعوة ولو سرًا حتى يشتدّ عوده.

وأي مصلحة في استشهاد أربعين ألف مجاهد على أسوار القسطنطينية.

وأي مصلحة في إعذار المرابطين في الإغارة على معسكرات الأعداء من دون إذن لاعتبار أن حقيقة الجهاد مبناه على التغرير بالنفس.

وأي مصلحة في غزوات فاقت فيها أعداد المشركين أضعاف أعداد المسلمين.

بمنظور المتشبّث بالنظرة السطحية المادية: لا مصلحة في ذلك راجحة؛ ولولا وقوعها وحدوثها ممن هم أخير منا وأعلم، لردّها خلق كثير وأنكر مشروعيتها خلق آخرون.

إن المصالح المتعلقة بالجهاد قد لا تبدو واضحة على المدى القريب دومًا، فهي مرتبطة بحركة أمة، وبناء دول، والشأن أن يُراكمَ عليها لتتجلى حقائقها.

هذا رسول الله -ﷺ- يخرج من مكة -أحبّ البلاد إليه- يطلب نصرة لدعوة حوصرت وأوذيت وعُذِّب أصحابها؛ حتى عاد بعد ثماني سنين فاتحًا.

من تعلق بالمنظور المادي المحتل لآلة التصور والتكييف للحقائق؛ ربما قاده الإنكار العجول لتطبيق أكثر تهور بسؤال العاجز: وأين المصلحة في مواجهة الناس والتغير عليهم والصراحة في معاداتهم ونبذ عباداتهم وقد كان بالإمكان الصبر أمدادًا حتى تتهيأ الظروف؟؟؟!!!

وإن المتأمل لحقيقة مصالح الجهاد الشرعية يدرك تمامًا أن الفتح العظيم كان آخر حلقة من حلقات تراكم المصلحة الشرعية التي شُيّد بناؤها بلبِنات الصبر الأول، وسنن المدافعة مع الضعف.

وهذا نبي الله موسى -عليه السلام- يواجه فرعون في سلطانه وحيدًا، واضطر للخروج من القرية فقيرًا فارًا بدينه، يحمل دعوة التوحيد، يطلب لها أمناء يحملونها بقوة، لتبليغ رسالة ربه.

يُراكَم على مصلحة الصدع بالتوحيد، وتحمل الأذى في سبيله؛ خروجُ أقوام من بني إسرائيل من دائرة الاستعباد إلى سعة الإيمان والسير في رِكابه.

من تعلق بالمنظور المادي وعاش معزولًا عن فهم الحقائق الشرعية حتمًا لن يرى المصلحة في فعل نبي الله -عليه السلام- وقد خرج من أبّهة القصور إلى ضيق المطاردة والطلب والتتبع ومؤامرة القتل، حتى يقع على الفعل التراكمي الناشئ عن الوقوف الصريح في ساحة القصر وحيدًا والصدع بالتوحيد في جنبات قصر فرعون.

وهكذا يُنظرُ للمصلحة الناشئة عن الحركة الجهادية في أمتنا، وأنها تراكمية لابد لها من غربة فاستضعاف ثم مشاغلة وغلبة وتمكين.

وهل تقزّمت الإمبراطوريات الغربية الفاشية إلا بالجهاد الاستنزافي لها، وصولًا لذهاب الريح وانعدام الأثر، وتفكك البنية؟؟

مرّ المغول على البلاد وقد عملت سيوفهم في المسلمين، في مرحلة تاريخية قاتمة من تاريخنا الإسلامي، ولم يقم لها إلا جيوب الدفع بالممكن، حتى تراكمت آثار العمل المجاهد فانتهى لحراكٍ واسعٍ انتهت معه إمبراطورية

جنكيز خان على يد القائد المسلم سيف الدين قطز.

أين إمبراطورية الاتحاد السوفيتي الذي هيمن على العالم وكان له التفوق الأعلى لصياغة منطق التبعية العمياء لسياساته؟؟

تفككت إمبراطوريته على يد المجاهدين الأفغان في جهاد طويل استنزافي.

وأين التحالف الدولي الذي جمع أكثر من اثنين وعشرين دولة لتفتيت حواضر الشعب الأفغاني وتغيير ثقافته؟؟

تلاشت قوته واندثرت آثاره بعد اثنين وعشرين سنةً من الجهاد الدؤوب المبارك.

وهكذا كلما أُقِيم للجهاد سوقٌ في بلاد المسلمين، وتدافعت له جموع الشباب، وانتصرت له أمتنا المتعطشة، جمعت جملة من المصالح التراكمية التي قد لا تظهر آثارها في مرحلة قريبة عاجلة رغم تلمّس كثير من عاجلها؛ كإحياء فريضة الجهاد في نفوس الجيل، وتحطيم صورة الاحتلال في عقولهم، وتعزيز معاني الولاء والبراء، وترسيخ قواعد الإمكان والقدرة، وتحطيم قواعد اليأس والضعف، وتشكيل حواضن تربية جهادية تعيد للأمة جزءًا من مجدها، والانتصار للدين والعرض، وفوق ذلك الاستجابة للنداء الواجب بوجوب الجهاد والمدافعة.

الإشارة الثالثة: حوادث سبقت الطوفان المبارك

يقول علماؤنا -عليهم الرحمة- الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره؛ فالحكم فرع التصور، ومن حُرِم الأصل أخطأ الفرع، وأتى بالعجائب.

وإليكم سردية مهمة لحقبة زمنية قريبة سبقت طوفان الأقصى المبارك، ولماذا تعمّدت كتائب القسام قلب الطاولة بحدثٍ صاخبٍ يمثل انقلابًا على المنظومة الدولية وأتباعها في المنطقة، وهي تقدم نفسها فداءً لأمةٍ يُراد سرقتُها وقتل معاني الإسلام والإيمان فيها، وترويضها لتلقي معاني الكفر والانهزامية دون حراك.

إنه لاشك أنّ من أظهر دلائل ضعف المسلمين في زماننا: رزوح قبلة المسلمين الأولى، ومسرى رسولهم -ﷺ- ومِعراجه إلى السماء تحت احتلالٍ طال أمده، واستشرى مدده، واستطال شره، وعظم خطره، حتى غدا أكثر وضوحًا للغاية، وأعظم جلاءً للغواية.

فعاش المسجد الأقصى ولا يزال أخطر مراحل التهويد الممنهج والقضم المدروس، والاعتداء السافر، واشتدّت وتيرة ذلك مع صعود أطراف التطرف الصهيوني لسدّة الحكم، والتي سابقت الوقت لطمس الهوية الإسلامية عن

المسجد الأقصى؛ بل وهدمه التام، وإقامة أركان الهيكل المزعوم على أنقاض بنيانه الطاهر.

فمنذ صعود أركان هذه الحكومة المتطرفة -بشهادة العجوز الخرِف بايدن، وأركان الدولة الصهيونية من غير حزب المجرم نتنياهو- توالت حملات تدنيس المسجد الأقصى المبارك، والسعي الحثيث لهدمه وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، وبلغ الأمر ذروته باستقدامهم خمس بقرات حُمْر لرعايتها مدة أشهر معلومة واستقبلوها على أعلى مستوى، في أبرز علامة على قرب هدم المسجد الأقصى المبارك، وتوالت لذلك المظاهرات الداعية للاقتحامات اليومية للمسجد الأقصى وذبح القرابين في ساحاته، وتأدية شعائر سجودهم الملحميّ على أبوابه، ثم إقدام الصهيوني المتطرف في الحكومة المتطرفة لتقديم القرابين النباتية في ساحات المسجد الأقصى على مرأى ومسمع من العالم كله؛ وتعمّد شتم النبي -ﷺ- على الشاشات، والتضييق على المصلين، ثم في أعظم فتنة في الدين تعرض أسرانا لحملات القتل البطيء، ومنعهم من حقوقهم البسيطة كمنع الماء والدواء والطعام، والتنكيل بهم، وزجّ المئات من شبابنا في سجون الاحتلال تحت بند "السجن الإداري" من دون محاكمات، وإزاء ذلك اشتد الحصار المضروب على غزة ودفع أهله وشبابه إلى الهجرة خارج البلد، مع استمرار اقتحامات وقتل الشباب في الضفة الغربية؛ وفوق ذلك كله بلوغ عملية التطبيع مع الكيان ذروتها، واشتراك الدول العربية في اتفاقية "أبراهام" وقبول الديانة الإبراهيمية الكفرية كدين جديد.

كل ذلك استدعى فدائيي الجهاد لقلب الطاولة وإحداث صخب مزلزل في الساحة الإقليمية والدولية لاستدراك مراحل الهبوط بالجيل حد ضياع الهوية واندثار تعاليم الشريعة في نفوسهم، فقدّمت غزة نفسها فداء لمقدساتها وأمتها في عملية طوفان الأقصى، لتحطيم هذا الصنم المعبود في المنطقة، فحطّمت هيبة الاحتلال، ودمرت منظومته الأمنية والعسكرية، وسقطت "فرقة غزة" تحت أقدام المجاهدين، وتعرت أنظمة التطبيع، وطفت قضية فلسطين على السطح من جديد، واجتمع لها المسلمون وأحرار العالم، في أعظم مسيرة تلاحم يمكن أن تراها.

غزت كتائب القسام غزوتها المباركة، وقاتلت قتال شُرَط الموت تطلب حياة أمتها، وبذلت لذلك الوسع ولا زالت في أعظم معركة تمر على أمتنا في صراعها مع المحتل الصهيوني منذ نكسة الـ 67، ولم تتعرض إسرائيل لهزيمة كهزيمتها في السابع من أكتوبر في معركة طوفان الأقصى، في رسالة مراكمة المصالح الشرعية: إسرائيل نمر من ورق، وأكذوبة من سراب، وكيان ساقط،

وأن الأمة أقوى مما تتخيل هي في نفسها، وأنه بالإمكان هزيمة الكيان وتحطيم أركانه، وأن أمتنا عصية على الاستعمار والاستعباد، وأن الأمة المسلمة إذا وفرت لشبابها مساحات الإعداد فهي للنصر والغلبة والظهور أقرب.

الإشارة الرابعة: ميدان شاهد على حياة الناس

إن أمة الإسلام لا تعرف حياةً كريمةً إلا في ظلال سيف الجهاد وهداية الكتاب المبين، كتاب هادي وسيف بتار بادي، قال الله -تعالى- ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]، ففي الجهاد حياة الناس، وبه ترتقي الأمة إلى حيث منبر الإمامة، والترفع عن دونية خشاش الأرض التي يحياها من رضي بإذلال العدو، أو سار في ركابه.

وإن الأمة التي تسعى للخلاص من درن الاحتلال لا يمكن لها إلا أن تتوسل سبيل الجهاد سبيلًا وحيدًا، ولو كان ثمّة طريق يمكن أن يتوسّله الناس لنيل الحقوق وطرد الاحتلال غير الجهاد في سبيل الله -تعالى- لبيّنه ربنا في كتابه؛ كيف والكتاب ناطق بهذه الحقيقة، مثبت لها، صادع بها، قال الله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: 4].

وأن كل بذل في سبيل الله يمثل حياة لجيل الأمة القادم؛ وإن عظمت التضحيات.

والنصر لا يقاس بحجم الفقد، ولا بكثرة الشهداء، وإنما بالمضي للغاية من غير تبديل أو انحراف، أو قبول الذلة واقعًا عاديًا.

وأن الجهاد، وإن كان في حقيقته انتقال من ابتلاء لابتلاء أعظم، إلا إنه انتقال في المكان الصحيح، والسبيل المَرْضِي، والطريق الواجب، وتلك سنة الله في الدعوات.

ألا ترى أن المرء يعيش آمنًا متنعمًا غارقًا في لُجج الدنيا، ملتصقًا بها، متثاقلًا إليها، حتى يفجأه الجهاد فينقله من ابتلاء القعود إلى ابتلاء التغرير بالنفس، وبيعها لله -تعالى- بيع راجي الآخرة، طالبًا نعيمها الدائم.

وإنه في سيره ستنهشه أطماع ورغبات ووسوسات، ولن ينجو إلا بالمضي من غير التفات.

وأن خلقًا كثيرًا سيتهمونه وسيلمزونه وسيسلقونه بألسنة حِداد، ولن يسلم له عرض، ولن تنجو له نية خفية؛ وفي كل ذلك تمام الرسالة على صحة الطريق وسلامة الخطى.

في معركة طوفان الأقصى استُنفِرت الأمة للجهاد الواجب وهي ترى مقدساتها تُنتهك، وتعمل فيها آلة التهويد وطمس الهوية عمل مكر الليل والنهار، فقعدت الأمة إما عجزًا أو قهرًا؛ ولم يقم للدين يومئذ إلا هذه الفئة المؤمنة المجاهدة في ثغر غزة، لم تعش هامشيةً على جنبات التاريخ؛ وإنما قامت تفرض إرادتها على واقعٍ استسلم للخضوع والذل والخنوع، فراغمت عدوها مراغمة الأباة، وقهرت فيه صَلَف الطغاة.

قادته لبيئة النزال، وميادين القتال، ورأى الجيل في أمتنا صنيع هذه الثلة المجاهدة المباركة، وهي تصنع صاروخها والعبوات، وتشق الأرض بأظفارها، فتخدّ الأخاديد والأنفاق الشاهدة على متقن الإعداد وعظيم العزيمة الوقّادة.

وكُسِرت بهم هيبة عدو ظلوم متسلط على أحلام أمتنا بأوهام وأكاذيب، فجعلته أضحوكة الزمان.

فتسارعت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وحلف الناتو لترميم هيبة الكيان والتغطية على مسلسل فشله المفضوح، ولم تفلح كل المحاولات، وغرق الغُزاة في أوحال غزة، وشيَّدت غزة مرحلةً تاريخية في جهاد أمتنا، فانتصرت للدين والنبي -ﷺ- وارتقى المجاهدون مراحل متطورة في النزال غابت عن جيوش المنطقة الخاملة منذ عقود.

وكُسِرَت على صخرة جهاد كتائب القسام وحدات نخبة العدو، وانحسرت موجة التطبيع، وانهارت أكاذيب أُرِيد لها أن تسري في الجيل سريان الحقيقة المغشوشة.

وتجلت حقائق لم يكن لها أن تظهر لولا هذه الحركة المباركة:

أولًا: لأول مرة في تاريخ الصراع الفلسطيني مع هذا العدو يخوض المجاهدون حربهم داخل أراضينا المحتلة، وهذا ما لم تعهده دولة الكيان التي اعتمدت سياساتها العسكرية دومًا على عنصر المفاجأة وكثافة نيران أجبرت خصومها من الدول العربية وغيرها على الاستسلام لشروطها وسياساتها، ومارست بذلك مرحلة "كيٍّ للوعي" لبعض الجماعات التي حاولت مناوشتها في عمليات عسكرية محدودة الصراع، لتأتي غزة متسلِّحة بإيمان أبنائها لتحارب الكيان بطريقة نِدِّية تفقده عناصر قوته، وتجبره فيما بعد لتقدمٍ لم تمنعه منه، وإنما أعاقته ووجّهته لميادين مُعدّة مسبقة لتخوض معه معركة استنزاف، وكبدته خسائر فادحة مصوَّرَة يراها العالم على الشاشات، ولا شك أن ذلك أصاب المعتمدين والمعوِّلين والمرعوبين من الكيان لإعادة كثير من حسابات الثقة بهذه الدولة المسخ، والنظر بجدية في كونها حليفًا يمكن أن

يُعتمد عليه.

ثانيًا: اعتمدت "إسرائيل" في عوامل بقائها على تشجيع يهود العالم للهجرة إلى فلسطين والاستقرار بها لمعتقدهم أنها أرض الميعاد، وأنفقت على هذه السياسة ملايين الدولارات، لتجد "إسرائيل" نفسها بعد طوفان الأقصى أمام هجرة عكسية طردية لم تتوقعها إدارة الكيان، وفي أول إشارة من بلجيكا "مثلًا" بالسماح لليهود بالهجرة إليها دون تأشيرة، ازدحمت مكاتب التنسيق ومطار بنغوريون بعشرات آلاف الهاربين، فتحطمت آمالهم، وقُزمت أمانيهم، واندثرت أحلامهم، وتبعثرت مخططاتهم، وذهبت أموالهم أدراج الرياح.

ثالثًا: صدق ربي -سبحانه-: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: 104]، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: 140]، بعد معركة طوفان الأقصى انتهى زمان تهجير وقتل الفلسطيني دون محاسبة؛ ففي الوقت الذي يتشبث فيه الفلسطيني بأرضه، ويحارب سياسة التهجير المتعمّد، فينزح لجنوب القطاع والتسمّر به رافضًا سياسة التهجير لسيناء، ويعاني في سبيل ذلك الجوع والعطش وانعدام الإمكانات؛ أجبر المستوطنون في مستوطنات الغلاف للخروج منها، والعزم على عدم العودة حتى ينتهي تهديد القسام، مما اضطر قيادات العدو كوزير مجلس الحرب "غانتس" لعمل دعاية في رسالة اطمئنان للمستوطنين حين جاء لمستوطنات الغلاف ليبحث عن بيت للإيجار، فتعرّض لحملات سخرية المستوطنين ولم يلتفت لدعايته أحد؛ وتحدّث رؤساء مجالس المستوطنات أنهم لن يعودوا لمستوطنات الغلاف مرة أخرى، في سابقة لم تعهدها دولة الكيان المسخ.

الكيان الذي اعتمد دومًا على سياسة تهجير الخصوم وقضم الأراضي يعيش الآن أسوأ مراحل التسمّر في مستوطناته.

رابعًا: بعد طوفان الأقصى انهارت منظومة الاقتصاد الإسرائيلي واضطرت الدولة للاستدانة لتغطية نفقات حربها على غزة؛ مما أدى لارتفاع منسوب الدَيْن العام، ورغم كون الإدارة الأمريكية رفعت نسبة دعمها للكيان، إلا أن ذلك كله لم يُقم أود الدولة المهترئة والكيان المهزوم، وصدق الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36]، فالدولة التي اعتمد عليها الحلفاء كأحد أمهر نقاط ثورة تكنولوجيا المعلومات

انهارت ثورتها بعد سيطرة المجاهدين على كنز معلومات استخباراتية مهمة لوحداتها الأمنية؛ "الموساد" و"الشاباك" و"الشين بيت" و"أمان"؛ ما زعزع ثقة الحلفاء بالكيان وحقيقة جدوى الاعتماد عليه؛ في ضربة أصابت عمودها الفقري تضاف لضربات المجاهدين العسكرية في ميدان الحرب.

حقًا إنها لم تكن غزوة عابرة؛ بل كانت معركة شاهدة على حياة الناس؛ تخطو خطى السلف الأوائل في تحطيم أصنام الوهم في نفوس الناس، وأنهم قادرون جدًا بعد الاستعانة بالله أن يُحدثوا التغيير والتأثير.

أخيرًا: هذه ديباجة نصيحة

في معارك أمتنا على مدار تاريخها لابد وأن تطفو للسطح أصوات نشاز مغرضة أو جاهلة؛ تردد مقالة العدو والمنافقين، وتمشي في الناس مسيرة أهل الإرجاف، والتثبيط والإسفاف، يتكلمون بأثارة علم يحسبونها علمًا راسخًا، وأكثرهم قد أوتي من جانب الجهل أو النفاق، قد أكل الخوف حبات قلوبهم فصدّهم عن توسل أدوات طلب الحق بأدلته.

يحذرون الناس من فتنة قد وقعوا فيها حتى ألجمتهم ألجمة الاستعباد، وقد صدق الله: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: 48]، يقيسون الأمور الشرعية بمنطلقات غيرها؛ ويوازنون المواقف لمقتضاها، فغارت أقدامهم في وحل الاختراع، ورفعوا للبدعة والخَوَر ألف شراع.

وإن جئت تحاججهم -تنزّلًا- لمقتضى حساباتهم؛ لأسقطوا في أيديهم ولم يخرجوا بفهم شرعي، أو إدراك واقعي.

يتباكون على دماء سالت على طريق الجهاد الواجب، حتى لكأن الجهاد لا بُدّ فيه من ضمان السلامة وطلب الراحة على حبّ؛ والأمر بخلاف ذلك أبدًا.

وإن الشعوب في حركة تحريرها ودفعها للعدو وبناء دولها تبذل على الطريق مئات آلاف بل ملايين الشهداء، حتى تبلغ ذروة التأثير في السياسات الدولية المحيطة؛ ولا يُقاس نصرها بقدر ما بذلت؛ وإنما بنتيجة ما حققت.

ألا ترى أن هذه الأصوات يخفت حِسّها إذا ناقشت حقبة سطو الاتحاد السوفيتي على إرادة حكومات الدول، وتُقِرّ إقرار المذعن أن الحرب العالمية الثانية أسّست لمرحلة القطب الأحادي المتنفذ في العالم وأن الاتحاد السوفيتي هو عنوانها وقبلتها...!!

رغم كون الاتحاد السوفيتي خسر في معركة البسط والهيمنة بعد الحرب عشرة أضعاف ما خسره خصومه.

فبريطانيا التي حاربت الاتحاد السوفيتي خسرت ستة ملايين شخص؛ فيما خسرت اليابان مليونين ونصف مليون شخص؛ وخسر الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية خمسًا وعشرين مليون شخص، ولا يشك أحدٌ أن الاتحاد السوفيتي هو من كسب المعركة وخرج منها بنصر كبير أهّله لبسط القيادة والسيطرة على المنطقة، وصار قِبلة شرف التحالف للحكومات في منطقتنا!!!!

لتدرك وقتها أن كثيرًا من هذه الأصوات السياسية المغلّفة بغلاف التأصيل العلمي الفقير لقواعد الفهم والإدراك، إنما كانت تخوض معارك بالنيابة عن قوى قد أحرجتها أفعال المجاهدين وهم بعشر معشار قوتها المكدّسة!!

وإن أقوامًا كانوا يُمنّون النفس بسقوط المقاومة في غزة، ظن سوء زُيّن في قلوبهم حتى أهلكهم هو ما جرأهم على الصدع بالإرجاف، والجهل والإسفاف؛ فما كانوا يظنون أن تهزم إمبراطوريات الكفر في قلعة الإيمان؛ غزة، رغم مساحتها الضيقة وإمكاناتها المتواضعة، فساروا معهم مسيرة أسلافهم من قبل الذين قصّت لنا آيات القرآن حكايتهم فقال الله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: 12].

يقول سيد قطب -رحمه الله-: "هكذا يظنون دائمًا بالجماعة المؤمنة عندما يبدو أن كفّة الباطل هي الراجحة، وأن قوى الأرض الظاهرة في جانب أهل الشر والضلال، وأن المؤمنين قلة في العدد، أو قلة في العدة، أو قلة في المكان والجاه والمال. هكذا يظن الأعراب وأشباههم في كل زمان أن المؤمنين لا ينقلبون إلى أهليهم أبدًا إذا هم واجهوا الباطل المنتفش بقوته الظاهرة. ومن ثَمّ يتجنبون المؤمنين حبًا للسلامة؛ ويتوقعون في كل لحظة أن يُستأصلوا وأن تنتهي دعوتهم فيأخذون هم بالأحوط ويبعدون عن طريقهم المحفوف بالمهالك! ولكن الله يخيب ظنّ السوء هذا؛ ويبدل المواقف والأحوال بمعرفته هو، وبتدبيره هو، وحسب ميزان القوى الحقيقية. الميزان الذي يمسكه الله بيده القوية، فيخفض به قومًا ويرفع به آخرين، من حيث لا يعلم المنافقون الظانون بالله ظن السوء في كل مكان وفي كل حين!" ا.هـ

حتمًا ستنتهي معركة الاستنزاف وستتغير وفقها أشياء كثيرة؛ لكن الثابت فيها -ثقةً ويقينًا- أن ما بعد الطوفان ليس كما قبله يقينًا؛ وأن مسيرة الجهاد ستمضي لقَدَرِها، وستعلو بها راية الحق، وستنتهي في باحات المسجد الأقصى المبارك وعد الله لا يخلفه.

وأن عيش الجهاد شيء، والحديث عنه شيء مغاير تمامًا؛ وأن الجهاد في سبيل الله لا يُنتصر له بمنطلقات غيره؛ وإنما بباعث الإيمان الذي يجلل مسيرته.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وكتبه من غزة المباركة في أوج العدوان المستمر: د. نائل بن غازي "غفر الله له".

❊ ❊ ❊

عد مئة يومٍ من الحرب: "طوفان الأقصى ثورة على الهزيمة النفسية" [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه؛ أما بعد:

أخرج الإمام مسلم -رَحِمَهُ اللهُ- في صحيحه من حديث عياض بن حمار المجاشعي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب).

مقت الله أهل الأرض لتمرّدهم وبغيهم واستعبادهم عباد الله سخرةً وقهرًا وطغيانًا؛ فأرسل الله نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليخرج العباد من هذا القهر لرحابة الإسلام، ومن جور الأديان إلى عدل الشريعة الربانية، ومن آصار الذل إلى انطلاقة البناء وعمارة الأرض.

بدأ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالروح فأعاد ترميم تهالكها، وأزاح عنها أساطير الخرافة، وهدم جُدُر الخوف المضروبة، وحطم أغلال الخور المعقودة، وحلّق بجيل التوحيد في أفق طلب الحق الواجب، وآفاق الإمامة المستحقة.

فامتطى والجيل خيول الخلاص، تجوب الأرض للخلاص، ينتصر أولًا على جيش التثبيط النفسي، وجحافل الوهم المحيط، وسرايا الهزيمة النفسية.

يمضي بيقين الإيمان إلى حيث مضارب البلاغ، يحمل رسالة الدعوة إلى إمبراطوريتي الشرك في الزمان الأول.

يدرك في نفسه ما لا يعرفه "الأرضيون" الخاضعون لشريعة الأرض، المنهزمون لماديتها؛ المنقادون لمخرجات العقل الآبق عن حقيقة الإيمان.

بنظرة العقل الخاضع لشريعة الأرض؛ المأسور لمنطق الأشياء والوسائل الأرضية المبتورة عن الحقيقة الإيمانية كأنها انطلاقة انتحار ومغامرة؛ إذ كيف يمكن لهذه الدعوة الناشئة في بيئة محاصرة من جهاتها الأربع، في أرضٍ لم تكن محط أنظار الغزاة مصاصي خيرات الأرض -ولو مرةً- لفقرها وانعدام ميزاتها.

يؤمّها قومٌ لا سابقة لهم في نزال، ولا رسالة لهم، ولا طموح يدفعهم أكبر من خمر ولهو أرضيٍّ في عالِم ينافس على رسالة قيادة الأرض، وقد أعدّ لها مبكرًا عدةً ماديةً وزحفًا عرمرمًا.

كيف لها أن ترفع رأسًا، أو تطلب حقًا، أو تتشوف لمنازلة الأكاسرة

---

(1) نُشرِ في مجلة الصمود، العدد 217 (رجب 1445هـ - يناير 2024م).

والقياصرة في آن؟

في هذه البيئة، وتحت وقع هذه الصورة، وأمام هذا التنافس المشحون؛ جاءت رسالة الإيمان ترمق فجرًا قد وُعدت شمسُه بشروق يغطي الأرض، وبلوغ ملكها مدى ما زوي للعين الشريفة، تريد خلاص الأرض وتطهيرها من دنس الشرك، والنهوض بها لمنبر الإمامة على قاعدة من العبودية المطلقة لله والاستسلام التام لمقتضى الشريعة الربانية، في أعظم معجزة قاهرة لشريعة العقل، ورسالة الماديات البتراء.

تجوب كتائب الإيمان الأرض تحمل أمانة الانعتاق لعالَم غارق في أوحال الضياع والتيه والتخبط، في أصدق عبارة، وأجرأ كلام: (سلام على من اتبع الهدى، فإني أدعوك بداعية الله تعالى إلى الإسلام، أسلِم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّ عليك إثم الإريسيين).

انقلابٌ في دنيا الناس، وقلبٌ للموازين، وتحدٍّ لفلسفة الشريعة الأرضية.

من هؤلاء؟؟ ومتى خرجوا؟؟ وماذا يريدون؟؟ وكيف تجرأوا؟؟ وعلى ماذا يُعوّلون؟؟

بالأمس كانوا في نظر الطغاة مجرد رُعاة لا قيمة لهم ولا وزن؛ لا يُؤبَهُ بهم ولا بتطلعاتهم، لا يُلتفت لأحلامهم ومشروع طلباتهم.

مجرد "أعراب في صحراء مُقفِرة" يتتبّعون مواقع القطر، ومنابت الشجر؛ واليوم يدخلون على الملوك بعزةٍ، يدوسون نمارقهم بأقدام حافية، يطأون فرُشهم بحوافر خيل ضعيف، يمزقون بُسُطهم بحِرابٍ كانت محط سخرية، وهم يرونها بالأمس القريب لا تهتز إلا على أنغام القيناتِ!!

حمل جيل الصحابة معاني الإيمان والدعوة وانتصروا على وهم الاستسلام للعجز، وأقاموا من أنفسهم حجة الوجوب على كل قاعد وأسير لشريعة الأرض، ومنطق المبالغة في تعظيم الماديات العقيم.

وما هي إلا بُرهةٌ من زمنٍ لا تُساوي شيئًا في عمر الشعوب، حتى امتدّت حدود دولة الإسلام الأرض من مشارقها ومغاربها، وغرزت رايات الفتح على حدود الهند وساحل البحر الأطلنطي، وظهرت الشريعة على كل مِلّة ونِحلة، وتحقق وعد الله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9].

وعاش المغلوب المضطهد المطارد حياة الغلبة بعد أن ذاق مرارة أحدٍ، وحصار الأحزاب، وخديعة مؤتة، وإرهاق تبوك، وزلزلة حُنين، وصولًا للفتح الكبير ودخول الناس في دين الله أفواجًا.

حمل هذه الأمانة من كل جيل أمناء ربانيون، حتى صار جهادهم حديث

الأجيال المتعاقبة، وجرى ذكرهم على ألسنة التواقين للخلاص، ومضى تاريخهم ملهمًا ومرشدًا.

كلما هاجت في الجيل هواجس اليأس، أحاطتها حوادث الأسلاف فبدّدت وهمها والإسفاف.

أكلوا بجهادهم كبد كسرى، وحطموا فؤاد هرقل، وزلزلوا ملك ملوك الصين، وقهروا أطماع المغول وبددوا أوهام الغزاة المارقين في كل حين.

صنع الربانيون في أمتنا تاريخ العز بعظيم البذل والفداء فكانوا للهدى أدلاء، وللعدل والمعروف كانوا خلفاء.

وإنك اليوم إنْ أتيت تراقب حال أمة الإسلام في زماننا تضاءَلْت في عباءة القهر، وأنت تراها لعقود طويلة في ذيل الأمم، تابعة غير فاعلة، غارقة في أوحال الوهم، يقتلها خوف الإقدام؛ رهينة الاستعمار وإن غاب!!

تفرقت كلمتها، وتناثرت غاياتها، وذهبت هيبتها، واختلفت في كل شيء؛ ثم اتحدت فقط على لصيقة الخضوع لمنظومة الاحتلال النفسي والأرضي.

عاشت بنفسية المهزوم رغم ما تملكه من تاريخٍ محرض على الثورة ولازم الانعتاق، وإرثٍ يبشر بحتمية الوصول، ومقدراتٍ تصنع الفارق.

فسُرقت خيراتها، ونُهبت كنوزها، وشُوّهت مسيرتها، وكُبِتت انطلاقتها، وتسلط عليها الشُذاذ من كل نِحْلة، والمجرمون من كل ملّة، وباتت كالأجير الخادم بين طبقتي رحى المعسكر "الروسي-الصيني" و"الأمريكي-الصهيوني" كأنها بلا هوية أو تاريخ، هامشية في الحواشي!!!

تتقاذفها المصالح الغربية كأنها عدم؛ وإنْ حضرت فمجرد خبر في صحيفة أو إذاعة إذ على أرضها حروب وكالات تحرق أخضرها ويابسها!!!

غابت الأمة عن مساحة التأثير لما غابت هويتها، ونسيت رسالتها، وسلكت للظهور غير سبيل الوصول.

فتملكتها الهزيمة النفسية، وبسط الاحتلال النفسي قواعده حتى في حديث نفسها، فحضر مع تفكيرها وتخطيطها وصياغة أهدافها وتحديد أولوياتها، فجاءت هزيلة في وقت الجد، مريضة في وقت النشاط، كسيحة في زمن التنافس.

حتى لكأنها ترى في كل نصر مؤامرة يقينيةً ستقود لهزيمة حتمية!!!

أظلمت سبُلها، فأخلدت إلى أرض اليأس تعاين الحاضر الشقي، وتستشرف المستقبل المظلم.

ولما كانت دعوة الحق لا تعدم رجالًا آخذين بعجزها يدفعونها عن هاوية السقوط المدوي؛ دوّت غاراتهم في لجج اليأس تصنع تاريخها، وتعيد مجدها، وتعلو على مكر العدو، وترفع صوتها مستمسكة بمسيرة الهدى القديمة؛

تطلب انعتاقًا وخلاصًا، تقيم أصولها في نفسها، وتحيي بها مكامن القوة المعجزة، وتستصرخ لها جيلًا حيًّا تفرقت طاقاته، وتشتت غاياته، وحوصرت آماله، فأتت به في ساحة الإعداد، ورمّمت فيه روح الجهاد، وأحيت به الثأر والجِلاد، ومضت به للنصر جندًا له أمداد، تردد نداء الحق يقينًا: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85].

رجالٌ أحدثوا انتفاضةً في أمتهم رغم المكر الكبير، والكيد الخطير، فمثلوا للناس في زمن اليأس وسيطرة "شريعة الأرض" وفشوِّ "سلطة العقل" شيئًا مغايرًا غير مألوف، فبهم رأى الناس علوَّ الحقيقة المطاردة على الوهم المسيطر، وتجلت لديهم إشراقات الأمل بإمكانية التغيير والانتصار.

في عام 1948 احتُلت الأرض الفلسطينية، كامتداد لاحتلال بريطاني استعماري في عام 1917، وتكرارٍ لحلقة الطغيان الممنهج على أصحاب الرسالة السماوية والدعوة الربانية، وتوافدت للأرض الطهور نجاسات الغزاة الجدد من كل حدب وصوب، أتوا من الأرض لفيفًا؛ ونسجوا بها حلمًا سخيفًا، وأقاموا -غصبًا واحتلالًا- كيانًا أسموه دولة.

عزّز الأغراب مقامهم، وأضفوا عليهم شرعيةً مستمدة من "شريعة الأرض" ومدوهم بحبلٍ من الناس كبرًا، وفرضوا كيانهم الصهيوني المنبوذ في بيئة مسلمة، وعلى تراب إسلامي ارتوى بدماء خيرة الأجيال، جيلًا بعد جيل.

نصبوا للمستضعفين مجازر الإبادة على يد عصابات القتل الممنهج "الهاغانا" وعاشوا لوهم مفروض سيطر على عقول خلق كثير "يموت الكبار وسينسى الصغار".

وفي فلك الوهم دار منهزمون كُثُر، يرون في الاحتلال الصهيوني غُولًا لا يُدفع، فهُزِمت نفوسهم وقعدوا، وشرعنوا قعودهم لمقتضى "شريعة الأرض"، فصاغوا له اتفاقيات يسوقون فيها الوهم على قاعدة السراب؛ فاستبدلوا اتفاقيات السلام "المزعوم" بالجهاد المروم، وتملّكتهم خيفة، وسكنهم رعبٌ، وظنوا ظن سوء؛ أنّ الحق ما اقتطعته لهم قطعان يهود؛ تتار العصر ومغوله، ورددوا مقولة الانهزام الأولى "من حدثكم أن التتار يمكن أن يُهزموا فلا تصدقوه!!!".

فاستسلموا للهزيمة وتعايشوا معها، فتاهت دروبهم تيه بني إسرائيل الأول لا يلوون على قرار؛ وقد أحلوا قومهم دار البوار.

غابت القضية الفلسطينية أو قل: غُيّبت وأُمعِن في تغييبها مرتين؛ مرةً على يد الاحتلال الأجنبي، وأخرى حين رُفع لخلاصها لواء الوطنية والقومية

العربية، حتى صارت مجرد أرقام في قرارات الأمم المتحدة، فغابت هويتها في أدراج الشجب والاستنكار، وشرعنة القهر لقوى الاستعمار؛ ولم تعرف القضية الفلسطينية حياةً ولم يعد لها النبض إلا تحت لواء الجهاد الشرعي المنتفض على "شريعة الأرض" والمنتصر "لشريعة السماء" لأنها آية في الكتاب، وبغير رسالته لن تعود ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: 1].

حمل جيل الكتائب رسالة السماء، ونهض للدعوة يطلب سبيلًا أُريد له طمسًا من الذاكرة، ومحوًا من الوجدان، وكيًّا لوعي مجرد التفكير فيها.

حفر الصخر بأظفار عزٍّ وإباء يدرع أرضًا احتضنته وآوته واختلطت بعَرَق بذله وجهاده، يصنع سلاحه بيدٍ تخطها أغلال الحصار، يقيم في نفسه روحًا وثّابةً تتعالى على جحافل الهزيمة النفسية المضروبة، يخطو خطى الأجداد الأوائل، يقتفي أثر الصحابة الأماجد، عازمٌ على ورود الحوض مرفوع الرأس موفور الكرامة، خليقٌ بمنزلة الاتباع.

وفي ذروة علوّ الاحتلال النفسي، وفي قمة سيطرة "شريعة الأرض" على العقول المأسورة المذبوحة بسيف الخوف والرعب من الكيان وأعوانه، يغزو جيل الرسالة، وشباب الدعوة منظومة الاحتلال الصهيوني؛ يحطمون أساطير الوهم والخرافة، ويهشمون جدُرَ الهزيمة النفسية في الجيل، ويعلُون بإيمانهم ملة الكفر، ويسطرون ملحمة "طوفان الأقصى"، يجددون في الجيل بطولات اليرموك والقادسية وعين جالوت وحطين.

لسان حالهم: أتينا الحراب أسرابًا، لنصر الله طلابًا؛ عليكم ندخل البابَ وإنّا غالبون.

للأرض المغصوبة قد شق الصمت هديرهم، وبها الكتائب نُزّلت تنزيلًا؛ فكأن جند الله بين جموعهم؛ وكأن بين صفوفهم جبريلًا.

كأنك تلمح خالدًا على خيله يزمجر؛ أو ترى أبا عبيدة في الساح يكبّر.

ترقب فيهم وثبة البراء أبيةً، وتلحظ عزمة حمزة فتيّةً.

في عزمهم إصرار صلاح الدين السلطان؛ وفي إقدامهم فداء ألب أرسلان.

في ثباتهم صورة "عزام"، وفي جهادهم طيف "القسام".

في صبرهم جَلَد "أحمد ياسين" على كرسي الفخار، وفي عبقريتهم إمامة "الرنتيسي" قبلة الثوار.

إغارتهم عبق غارات "الجعبري" الشهيد، صولات "التستري" و"أبي شمالة" و"العطار" العنيد.

فكرهم صياغة "المقادمة" العبقري، حنكة "شحادة" الفذ الألمعي.

جند للدعوة لا يعرف خضوعا، يأبى المهانة يقلى خنوعًا.
قبلتهم شهادة، صولتهم ريادة.
رائدهم الكتاب المبين، دليلهم سنة النبي الأمين.
جبالًا فوق الجبال ساروا؛ أباةً للحق ثاروا.
فكانوا بحق أعجوبة الزمان؛ واندهاشة المكان.

على وقع إقدامهم تهاوت في الجيل عروش الوهم، وغارت أركان الهزيمة النفسية، واهتز لهم بلاط العُتاة الغزاة.

استنفرت دول الغزو البغيض وجاءت تشق البحر للإعانة؛ وتعلن التأييد والضمانة.

وصارت البقعة المحاصرة ذات الـ (365) كم^2 كأنها قارّة بمساحة (365000) كم^2!

أمريكا تستوضح؛ بريطانيا تستقبح!
فرنسا في ذهول؛ ألمانيا أمام أمر مهول.
إسرائيل تعاين الكابوس، الناتو يدق للزوال الناقوس.

ولن يغني حذر من قدر، فهذا أوان الزوال -بإذن الله- ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: 5].

أمتنا العظيمة الكبيرة الممتدة المباركة: هذه جموع فلذات أكبادكم قد انتصرت على الوهم، وبدّدت غاراته، وكسرت حِدّته في النفوس، وطلبت حقًا لكِ مغصوبًا، وانتصرت للدين والمقدسات، ورفعت للجهاد لواءً، وبذلت في سبيله دماءً كثيرة، وقد تركت لكِ في أذن الزمان رسالة تذكير بعد مئة يوم من القتال في البقعة المحاصرة منذ ستة عشر عامًا أو يزيد، خلاصة مسك الدم المبذول على طريق تحطيم أغلال الهزيمة النفسية:

[1] كل الأسباب المادية ستبقى بتراء إذا لم تجلّل برسالة الإيمان، ويكتنفها صدق الاستسلام لله تعالى.

[2] المؤمن المجاهد لا حياة له خارج مسيرة الجهاد، وأن الجيل ينتظر وثبته، ويرقب انطلاقته، ويتأهب لنفيره، وأن الأمة خليقة بتعزيز عنفوانه، وإذكاء نار ثأره.

[3] أول خطوة للوصول؛ في قهر احتلال النفس التي يصول عليها الوهم ويجول.

[4] أعظم جهاد قد يبذل فيه المؤمن طاقته هو جهاد احتلال نفوسنا

بسرايا العجز والضعف والاستسلام والرضا بالواقع المفروض.

[5] كلما استحكمت للظلم حكَمَة، وتمادى في الباطل طغمة، انبرى في الأمة من يعيد لها حياتها؛ ولو بفداء النفس قربانًا على مسيرة الخلاص.

[6] لا سبيل لنيل الحق من أنياب العتاة الطغاة بغير الشوكة.

[7] بقدر الابتعاد عن رسالة الإيمان بقدر ما تُباعد الأمة عن الغاية المقصودة، والسبل المنشودة.

من لي بجيـــلٍ نداء المـــوت يُطرِبه
وللرصاص بســـاحات الفـــدا زجلُ
لبيك لبيـــك يا صـــوت الجهاد فقد
أجابك القلـــبُ والأشـــواق والمقلُ
لو لم تسر بنا قدمٌ ســـارت بنا مهجٌ
تـــكاد عنـــا إلى لقيـــاك ترتحلُ

هذه هي معالم رسالة الأمة الرسالية، وإشارات وظيفتها الواجبة، وميزان قربها من الحق المطلوب؛ فمتى أمتي تنهضين؟؟

ثبات أهل الحق (1)

لم يكن الناس يومًا في مواجهة الباطل على درجةٍ واحدةٍ من الإيمان والثبات، فخوض غمار المعارك بوابةُ اقتحام الخوف والضعف أفئدةَ الناس، وهو نائلٌ منهم بقدر ضعف التحصينات المانعة، والتدشين المرتبك.

فطبيعي أنْ ترى همةً خارت، وعزيمةً في الوهن غارت، وقلوبًا تخطَّفها الجزعُ، وأقدامًا أرعبها الفزعُ، فاختلت لديها موازين النظر، فأكثرت الالتفات للحسابات الأرضية فقط، والموازين المادية فحسب!

فأتت بذلك على بقيةٍ من ثبات ورباط، ورأت السلامة في ترك الصدام المفروض، والمواجهة الحتمية، والقعود دون المحاولة!!

حينها يجتبي الله للفرض الواجب أولياءَ يحبهم ويحبونه، أذلةً على المؤمنين، أعزةً على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

وهم الذين يتنزل عليهم نصر الله الأكيد بعد أن استيأس الناس منه، وظنوه مستحيلًا.

ألا ترى هذه الفئة القليلة التي جاهدت مع طالوت، وقد أرعبها حشد الكفر، فانصرف عن اليقين بعضُهم بعد أن دبَّ الخوف في نفوسهم فقالوا: ﴿لا طاقَةَ لَنَا اليَومَ بِجالوتَ وَجُنودِهِ﴾.

فقطع تخرصاتِ الوهن والخوف بقيةُ الله من أوليائه فنطقوا بما يحب الله أن يسمع، وقاموا المقام الذي يحب الله أن يراه فذكر الله من حالهم ﴿قالَ الَّذينَ يَظُنّونَ أَنَّهُم مُلاقُوا اللَّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثيرَةً بِإِذنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصّابِرينَ﴾.

قطعوا التعلق بحسابات الأرض، واستمسكوا بيقين النصر المحتوم للثابتين المرابطين، وتوسلوا له صبرًا طويلًا، ودعاءً جميلًا ﴿وَلَمّا بَرَزوا لِجالوتَ وَجُنودِهِ قالوا رَبَّنا أَفرِغ عَلَينا صَبرًا وَثَبِّت أَقدامَنا وَانصُرنا عَلَى القَومِ الكافِرينَ﴾ [البقرة: 250].

فاللهم ثبّت أقدامنا واجعلها راسخةً لا تفر من هول المدافعة والمقارعة، وتوفنا إليك منقادين لأمرك، ناصرين لنبيّك، مؤدين أمانة الذود عن اللواء في حصن الأمة المتقدّم.

أخي يا ابن الدعوة الغراء: من عاش لغاية نبيلة، لم يأبه أن كان في الفئة

---

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 232 (شوال 1446هـ - أبريل 2025م)؛ نقلًا عن قناة الشيخ تقبله الله.

القليلة، فهي أبرز علامات قرب الفرج، وانتصار الحق.

ومَنْ تهاوى على جنبات الطريق جزعًا تَعِبًا، فارفق به، ولازم حشدَ قوته بقرعِ القلوب بحديث اليقين، فهو عضدك على طول المسيرة، وإنْ تعسّر الاستشفاء السريع، فامضِ وادعُ له، ولا تتعجل بعجلته فترتاب، فإنه لا يعجل بعجلة أحدٍ ربُّ الأرباب.

واللهِ وباللهِ وتاللهِ ليتمنّ الله أمره، وليعزّنّ جنده، ولتبلغنّ دعوتنا الآفاق، وإنْ تكالب عليها كل كفور ومنافق ومرجف عاق.

❊ ❊ ❊

عظمة الدم المسفوك في غزة [1]

لا تحسبوا أن الدم المسفوك في غزة هيّنٌ عند الله. إن هان الدم المسفوك في غزة في أعين الناس؛ فهو ليس بهيّن عند الله، بل هو أعظم من البيت الحرام الذي سيقصده ملايين المسلمين في هذه الأيام.

ولا تظنوا مجرد ظنٍّ أن الكفر قد يعلو على الإيمان، أو يكون له دائم سلطان!!

فقد قضى الله وقدر ﴿وَلَن يَجعَلَ اللَّهُ لِلكافِرينَ عَلَى المُؤمِنينَ سَبيلًا﴾.

نحن نخوض غمار أعظم المعارك تحت أنقى وأطهر راية، وأشرفها غاية، ونبذل لها أنفس ما نملك وأزكاها، رجاء أن يُحدث دمُـنا فيكم يقظةً، ويحيي فيكم باعث المدافعة التي لا عزّ لكم إلا بها، ولا شرف لكم إلا تحت لوائها.

وكما عاتب الله الصحابة عتاب التوبيخ ليتسفزهم لداعي الجهاد فقال الله ﴿وَما لَكُم لا تُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ وَالمُستَضعَفينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالوِلدانِ الَّذينَ يَقولونَ رَبَّنا أَخرِجنا مِن هذِهِ القَريَةِ الظّالِمِ أَهلُها وَاجعَل لَنا مِن لَدُنكَ وَلِيًّا وَاجعَل لَنا مِن لَدُنكَ نَصيرًا﴾ [النساء: 75].

فالعتاب موصولٌ فيكم يا أحفاد خير من وطأ الثرى، وأذلت صولاتهم الغزاة وخضع لسلطانهم الورى.

إلى متى تستسلمون للعجز كأنكم مسلوبو الحيلة عديمو الإرادة، إلى متى تركنون للظلم كأنكم من فرط عجزكم تبادلونه التحية والإشادة.

أعجزتم عن خلق فرص النصرة وهي -بحول الله- كثيرة، ورضيتم بالقعود إخلادًا للحياة الوفيرة، وسكّنتم وخز الضمير فيكم بالهروب، وتسربلتم سرابيل الهزيمة حتى اضطرتكم لأضيق الدروب، فعشتم صورة الإسلام لا حقيقته، وعظمتم الجهاد وخذلتم طريقته.

فمتى تستيقظون؟ ومتى تنهضون؟ ومتى تنتفضون؟

فالناس غاديان، وكل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها!!

ألا فاقصدوا بحر اليقظة وتحللوا من قيد السلبية المرفوض، وخلّوا عنكم قنوات الهروب من واجبكم المفروض.

---

(1) نُشِر في مجلة الصمود، العدد 234 (ذو الحجة 1446هـ - يونيو 2025م)؛ نقلًا عن قناة الشيخ تقبله الله.

فالتاريخ شاهد؛ يسجل من حفظ وصان، ومن فرّط وخان.

وإننا وإياكم إن لم نلتقِ في الدنيا؛ فعلى حوض الرسول -ﷺ- ملتقانا؛ فبأي وجهٍ تحبون أن يقابلكم؛ وبأي العبارات يستقبلكم؟
اللهم إننا بالدم قد بلغنا، فاللهم فاشهد.



ما كانت ألف خطبة وخطبة، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتُلهب الدعوة والجهاد في نفوس المسلمين كما ألهبتها قطراتُ الدم الزكي المهراق. إنّ كلماتنا تظل عرائس من الشمع، لا حراك فيها؛ جامدة، حتى إذا متنا من أجلها دَبّت فيها الروح، وكُتبت لها الحياة.



الفهرس

ستقولون: هذا مجنون؛ أو هذا من آثار الجوع.

لكنّي أبشركم وأنا ممتلئٌ بتمام اليقين، سواء عشنا، أو اصطفانا الله: والله ليقودنَّ هذا الجيل الغزي الأمة إلى حيث منبرُ الإمامةَ، ومعالي العز والتمكين؛ وسيذكر قومي أحداث الطوفان كأحد أجلّ الحوادث في التاريخ.

الأمة تمر بمخاض عسير، ستذوب معها كلّ مناطق رمادية يحاول الساسة الآن المناورة فيها، وسيجد كثير من الذين يحاولون مسك العصا من المنتصف؛ أنّ التوازن لن يستقيم بغير مصادمة الباطل؛ ولن تجد جموع الأمة بُدّاً من الانحياز التام الواضح لمعركة المصير الفاصلة؛ وإنّ ما حصل في غزة من هذا الجحيم المصبوب هو صقلٌ للجيل الذي يصنعه الله على عينه في ميادين التربية الحقيقية ومصانع الرجال، ولا يُصنع في غيرها...

